دراسات في تاريخ الأتراك العثمانيين

الدكتور
صبري عبد اللطيف سليم
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد
كلية دار العلوم بالفيوم

الناشر
مكتبة الفتح
الفيوم حي الجامعة
ت: ٠١٠٠٣٠٣٥٣٨٦ - ٠١٠٠١٨٦٥٧٣٧
٢٠١٣ م

احمد عبد الفتاح حسين محمد
دكتوراه بقسم التاريخ
جامعة الفيوم

دراسات في تاريخ الأتراك العثمانيين

الدكتور
صبري عبد اللطيف سليم
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد
كلية دار العلوم بالفيوم

الناشر
مكتبة الفتح
٠١٠٠١٨٦٥٧٣٧ - ٠١٠٠٣٠٣٥٣٨٦
٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٨٥٤٥

المقدمة

الدولة العثمانية هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي توسعت في فتوحاتها في شرقي أوربا ووسطها، وتوجت انتصاراتها بإسقاط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م على يد السلطان العثماني محمد الفاتح (ت/٨٨٦هـ).

وفي مواجهتها شرعت أوربا - على عجل - في الإعداد إلى حروب صليبية جديدة ضد المسلمين ، بل إنها أقدمت على ما هو أصعب من ذلك عندما حاولت دمج أو تحقيق الاتحاد بين الكنيستين الكاثوليكية في روما والأرثوذكسية في القسطنطينية قبل سقوطها في أيدي العثمانيين.

ولا تزال المعارك التي خاضها العثمانيون ضد دول شرقي أوربا [المجر، صربيا، بلغاريا، رومانيا، بولندا] ماثلة حتى الآن في أذهان بعض المؤرخين والمفكرين الأوربيين وعلى رأس هذه المعارك: القسطنطينية، قوصوه، أدرنة، نيكوبولس، وغيرها.

وتمكن العثمانيون ببراعة من اتخاذ مواقف حاسمة في مواجهة بعض الهزائم التي حاقت بهم أحيانا، وأشهرها هزيمتهم أمام جحافل تيمورلنك عند أنقرة سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م، وأسر

سلطانهم بايزيد الأول (يلدرم) أي الصاعقة، ثم وفاته سنة ٨٠٥هـ واشتداد الصراع بين أبنائه على الحكم حتى تمكن أصغرهم السلطان محمد جلبي من حسم الأمر والقضاء على الخلافات. وإعادة الدولة إلى مكانتها الأولى مستفيدًا من قوة كيانها وصلابة تكوينها.

لكن خطأ العثمانيين الأكبر وقع في عهد السلطان سليم الأول (بياوز) أي القاطع [٩١٨هـ: ٩٢٦هـ] فقد حول اتجاه العثمانيين عن الجهاد والفتح في أوربا إلى بسط سيطرتهم على دول الشرق الإسلامي، وخاض حروبا طاحنة ضد دولة الصفويين الشيعة في إيران سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٥م، ودولة المماليك البرجية في مصر سنة ٩٢٢هـ ١٥١٧م، وخرج منتصرا على الدولتين، واحدة تلو الأخرى.

وترتب على ذلك آثار في غاية الأهمية، ومنها:

أ. سقوط دولة المماليك البرجية في مصر والشام.

ب. تحول مقر الخلافة العباسية من القاهرة إلى القسطنطينية، ثم تنازل الخليفة العباسي عنها إلى السلطان سليم الأول العثماني.

ج. دخول الأماكن المقدسة في مكة والمدينة تحت رعاية السلاطين العثمانيين الذين أضافوا إلى أسمائهم لقب الخليفة.

د. فرض النظم العسكرية والإدارية العثمانية على بعض أنماط

الحياة العامة في المشرق الإسلامي.

ومع ذلك يبقى للعثمانيين فضلهم في نشر الإسلام في منطقة البلقان وفي شرقي أوربا، وهو نشر اعتمد في المقام الأول على النظم السلمية التي تمثلت في إقامة المدارس والمساجد والملاجئ في المناطق المفتوحة، والتسامح الديني مع غير المسلمين، وما اتصف به أكثر السلاطين العثمانيين من حرص على تطبيق تعاليم الإسلام في تلك المناطق بصورة طيبة قربتهم من الأهالي الذين أقبلوا على الإسلام تدريجيا بنفوس راضية.

وقد أثر العثمانيون فى الشرق الإسلامي أبلغ تأثير، وخصوصا فى الفترات التى تعرضت دولتهم للضعف من جراء عوامل عدة من أهمها:

- اشتداد الزحف الأوربي المنظم من قبل دول غربي أوربا وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا ضد العثمانيين خاصة والشرق الإسلامي عامة.
- ضعف شخصيات بعض السلاطين العثمانيين المتأخرين، وانصرافهم عن مباشرة شئون الحكم بأنفسهم ، مما أتاح الفرصة أمام بعض الوزراء، وقواد الإنكشارية والعبيد، والخصيان أحيانا لفرض سيطرتهم على شئون الدولة.
- ازدياد نفوذ الحريم السلطاني في قصور السلاطين العثمانيين وبخاصة الزوجات الأوربيات منهن، فقد تدخلن في شئون الحكم لتحقيق مصالح خاصة للدول اللاتي ينتمين إليها.

- عدم وجود قانون ثابت ينظم ولاية العهد، مما أدى إلى إضعاف الدولة في الصراعات العنيفة التي كانت تدور بين أبناء السلطان الراحل حول ارتقاء أحدهم للعرش، وقد أدى ذلك إلى إطلاق يد السلطان القائم في قتل منافسيه على كرسي الحكم ولو كانوا من أقرب الناس إليه بحجة المحافظة على وحدة الدولة العثمانية وبقائها.

- انحراف قواد الإنكشارية، فبعد أن كانت فرق الإنكشارية من أهم دعائم تحقيق النصر للعثمانيين تحولت – فيما بعد – لتكون من أخطر وسائل هدم دولتهم، ولقد كان هؤلاء مدفوعين وراء تحقيق مصالح خاصة لهم، ومن ثمة عمدوا إلى إشاعة الفتن والاضطرابات للتشويش على الحكام والرعية، وعارضوا أي تطوير عسكري في وسائل الحرب وأنظمتها مما أدى إلى إضعافهم في مواجهة الجيوش الأوربية المعاصرة، واضطرارهم إلى الفرار من ميادين الحرب عند اشتداد المواجهات العسكرية.

- ضعف النظام الإداري والاقتصادي في الولايات التابعة للدولة ومن ذلك الصراع بين الولاة (الباشوات) والحاميات العثمانية على إدارة الولايات، وانصراف هؤلاء الولاة – في فترة ولايتهم القصيرة – إلى جمع الأموال، وتقبل الهدايا والرشاوى، وتهميش دور الديوان وقصره على المجاملات الشكلية والاحتفالات الرسمية.

وقد أدى ذلك كله إلى انتشار الحركات الاستقلالية عن الدولة العثمانية في مصر والشام والعراق، كما أدى إلى قدوم الحملات

الإنجليزية والفرنسية إلى الشرق حيث ظهرت - فيما بعد - اتفاقية سايكس/ بيكو التي تعني ببساطة تقسيم تركة الرجل المريض [الدولة العثمانية] بين دول غربي أوربا.

وقد أسفر ذلك كله عن تجميد حركة الشرق الإسلامي علميا واقتصاديا وعسكريا، وهو الأمر الذي مازالت بعض آثاره قائمة حتى الآن.

وسنحاول في هذه الصفحات القليلة أن نعرض لأهم ملامح الدور السياسي والحضاري الذي نهض به سلاطين هذه الدولة من خلال المحاور الآتية:

- نشأة الدولة العثمانية في شمال غربي الأناضول وأهم الصعوبات التي اعترضتها.
- أهم الفتوحات العثمانية في شرق أوربا [البلقان - القرم].
- الإصلاح المتواصل لمؤسسات الدولة.
- علاقاتها الخارجية بالدول المحيطة بها [سلاجقة الروم، الدولة البيزنطية، تيمورلنك، الصفويين، المماليك].

ونرجو أن نكون قد ألقينا بعض الضوء على التاريخ المتداخل لهذه الدولة المسلمة التى شكلت جزءا مهما من تاريخ الشرق الإسلامي فى العصر الحديث.

والله ولي التوفيق

المؤلف

د. صبري عبد اللطيف سليم

تمهيد

شهد مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تغيرات عسكرية وسياسية مهمة تركت أبلغ الأثر في تاريخ الشرق الإسلامي، فقد ظهرت دولة المغول في هضبة منغوليا وانساحت جيوشهم تحت قيادة جنكيز خان (٦٠٣: ٦٢٤هـ) وأبناؤه جوجي وجغتاي وأوكتاي وتولوي.

وبعد أن نجح جيش جنكيزخان في اجتياز سور الصين العظيم، واحتلال مدينة بكين عاصمة الصين الشمالية سنة ٦١٢هـ غير اتجاه الغزو صوب أملاك الدولة الخوارزمية في آسيا الوسطي، فتداعت هذه الدولة الضخمة وهرب سلطانها علاء الدين خوارز مشاه حيث مات شريدًا مطارداً سنة ٦١٧هـ في جزيرة آبسكون في جنوبي بحر قزوين وتمكن تولوي بن جنكيز خان من الاستيلاء علي خراسان وما حولها في اتجاه الجنوب (بلاد الغور) وأصبح غربي إيران مسرحاً للهجمات المغولية المتوالية التي طالت مدن: آلري وهمذان وأصفهان.

وفي عهد الخان الأعظم أوكتاى بن جنكيز خان ٦٢٦: ٦٣٩هـ ، خرجت جيوش مغولية ثلاثة اتجه أحدها إلي الصين والآخر نحو جنوبي روسيا والثالث إلي شمال غربي إيران، حيث تم القضاء علي نفوذ السلطان جلال منكبرتي آخر سلاطين الدولة الخوارزمية، ولقي هو نفسه مضرعه في شوال سنة ٦٢٨هـ في أثناء فراره إلي إحدى قرى ميافارقين علي يد أحد الأكراد الموتورين منه في تلك المنطقة.

في تلك الأحوال المضطربة كان على القبائل التركية التي لم يطب لها الانضواء تحت هيمنة المغول أن تسارع إلى الفرار إلى مناطق آمنة تلتمس فيها الأمان والاستقرار بعيداً عن أيدي هؤلاء الطغاة، ومن هذه القبائل قبيلة تركية صغيرة تُدعى "قابي" قُدر لها أن تواصل رحلة التنقل من عند حدود بلاد ما وراء النهر إلى حدود إقليم أذربيجان في شمال غربي إيران.

أصل العثمانيين

ينتمي الأتراك العثمانيون إلى قبيلة قابي التركية التي تعود في الأصل إلى قبائل الغز التركية البدوية التي كانت تتنقل في أرجاء تركستان[1]، أي الموطن الأصلي للأتراك جميعا سعيا وراء الماء والمرعى.

وقد هاجرت قبيلة "قابي" شأن غيرها من قبائل الغز الأخرى من تركستان واتجهت إلى بلاد ما وراء النهر، حيث أقامت هناك على أطراف المدن ومنها بخاري وسمرقند وفرغانة وترمذ، محتفظة بطبيعتها البدوية ومشتغلة بالرعي كما كان دأبها من قبل[2].

---

(١) بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٣، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة جـ١ص٨٣، بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٤.

(٢) القزويني: تاريخ كزيده ص٤٢٦- ص٤٢٧، الراوندي: راحة الصدور وآية السرور ص١٤٥.

وقد وجدت قبيلة قابي شأن غيرها من قبائل الغز التركية رعاية واضحة في كنف السلاجقة الأول الذين كانوا يرتبطون معهم بصلة الأصل المشترك والنسب(١).

وحين تمكن السلطان السلجوقي ألب أرسلان في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م من هزيمة الإمبراطور البيزنطي أرمانوس في موقعة ملاذجرد التي تقع على مقربة من الجنوب الشرقي لهضبة الأناضول(٢)، فتح باب الهجرة أمام بعض العشائر التركية من الغز ومن غيرهم كي تتوجه إلى هذه الهضبة لتكوّن هناك ما يشبه مناطق الثغور في مواجهة أي غزو بيزنطي مرتقب ضد السلاجقة أو غيرهم من المسلمين.

وعلى الرغم من عدم وجود دليل قاطع على هجرة قبيلة قابي إلى الأناضول في ذلك التاريخ فإن المؤرخ التركي محمد فؤاد كوبريلي يذكر أن هجرة "قابي" كانت أيام الفتوحات السلجوقية الأولى وليس في أيام جنكيز خان المغولي(٣).

---

(١) بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى ص١٠٦، بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٦٨، براون: تاريخ الأدب في إيران جـ١ ص٢١٠.

(٢) ابن ناصر الحسيني: زبدة التواريخ ص١١٠- ص١١٢، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة جـ١ص٨٣.

(٣) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٣، د.بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٢٤.

ولا تشير المصادر أو المراجع المعروفة صراحة إلى وجود قبيلة "قابي" ضمن قبائل الغز التي كانت قد هاجرت من بلاد ما وراء النهر إلى بلخ عقب هزيمة السلطان السلجوقي سنجر أمام القراخطاي سنة ٥٣٦هـ/ سنة ١١٤١م عند صحراء قطوان في شمالي مدينة سمرقند(١)، أو إلى وجودها في أثناء ثورة الغز في مدينة بلخ على نفس السلطان سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م(٢).

ويذكر بعض المؤرخين أن قبيلة "قابي" كانت مقيمة في حدود مدينة بلخ، وأن زعيمها سليمان قيا ألب كان رئيسا لقرية ماهان الواقعة في نواحي بلخ(٣).

وقد اضطرت قبيلة قابي شأن غيرها من القبائل البدوية إلى الهجرة غربا من بلخ بعد أن استفحل الخطر المغولي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م بقيادة جنكيز خان الذي نجح في تدمير المدن الكبرى التي كانت خاضعة للدولة الخوارزمية ومنها جند وأترار وبخارى وسمرقند وغيرها(٤).

---

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ بغداد ص٢٧٥، النظامي العروضي السمرقندي: جهار مقالة (أي: المقالات الأربع) ص٣١.

(٢) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص٦١، د.صبري سليم: ثورة الغز الأتراك في خراسان في منتصف القرن السادس الهجري ص٣٠.

(٣) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٢٢، د.عبد الله جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي الحديث ص١١١.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ص٥٧٧، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٢٣٧، د.مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى ص١٣٧، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٣٦.

ويبدو أن قبيلة قابي التي لم تكن كبيرة العدد والثروة في هذا التوقيت لم تشغل بال المغول الذين كانوا منهمكين - آنذاك - في تعقب السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد الهارب، ثم في محاربة ابنه السلطان جلال الدين منكبرتي في: بيروان سنة ٦١٨هـ، السند في نفس السنة وأصفهان سنة ٦٢٥هـ، وغيرها من المواقع التي كان النصر فيها سجالا بين الطرفين[١].

وقد أتاح ذلك كله فرصة مناسبة لقبيلة قابي كي تأمن شر غائلة المغول، فوصلت إلى إقليم اذربيجان، ومنه أخذت تنتقل إلى خلاط في إقليم أرمينية ثم تحركت من هناك إلى حدود بلاد الروم[٢].

السلطان علاء الدين كيقباذ

تولى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الأول الحكم في الأناضول في الفترة ما بين ٦١٦هـ: ٦٣٤هـ[٣]، وقد ارتأى هذا السلطان لنفسه سياسة خاصة في التعامل مع المغول الذين كانوا آنذاك في أوج قوتهم العسكرية، فقد أرسل سنة ٦٢٦هـ إلى السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان الخوارزمي الراحل علاء الدين(ت/٦١٧هـ) يطلب منه إجراء الصلح مع جيش

---

(١) د.صبري سليم: السلطان جلال الدين منكبرتي والمغول ص٤١، ٤٥، ٧٢.
(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٧.
(٣) بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٨٥، ١٨٧.
خليل أدهم: تارخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١ص٣١٦.

المغول، وأنه أي علاء الدين كيقباذ سوف يرسل السفراء إلى المغول للاعتذار لهم عما بدر من السلطان الراحل علاء الدين خوارزمشاه من تعجيل في قتالهم(١)، وبالطبع لم يستجب السلطان الخوارزمي جلال الدين لهذا الاتجاه، إذ لم يكن ما فعله المغول به وأسرته شيئا يسهل نسيانه أو تجاهله.

ومن خلال تلك السياسة أخذ علاء الدين كيقباذ يوسع دائرة ملكه في الأناضول وخارجه، ومن ذلك اشتراكه مع جيوش الأيوبيين بقيادة الملك الأشرف الأيوبي (ت/٦٣٥هـ) في هزيمة جيش السلطان جلال الدين منكبرتي وقد انتهت هذه الهزيمة التي وقعت عن ياسي جمن في إقليم أرزنجان في جنوبي الأناضول في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٦٢٧هـ/ العاشر من يوليو سنة ١٢٣٠م(٢) إلى إضعاف جيش السلطان جلال الدين إلى درجة جعلته عاجزا عن مواجهة المغول في أية معركة قادمة، مما أدى إلى سقوط الدولة الخوارزمية بشكل نهائي وحاسم(٣).

ويذكر صاحب كتاب تاريخ سلاطين بني عثمان "أن سليمان شاه جد العثمانيين قد أتى بجماعته عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م، ونزل في صحارى بلاد أرمينية الكبرى المجاورة للأناضول حيث مكث هناك

---

(١) ابن البيبي: أخبار سلاجقة الروم ص١٩٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ١٢ ص٤٨٩، د. نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٦٥.

(٣) د.صبري سليم: السلطان جلال الدين منكبرتي والمغول ص١٠٢، ١٠٣.

سبع سنوات اشتعلت في أثنائها نار الحرب بين علاء الدين كيقباذ سلطان قونية (الأناضول) والسلطان الخوارزمي [يعني جلال الدين]، فتحزب سليمان شاه إلى السلطان علاء الدين كيقباذ ونزل مع جيوشه إلى ميادين الوغى، ولبث يكافح معه حتى انتصر على أعدائه بواسطته[1].

ولا تقدم هذه الرواية على افتراض صحتها - تبريرا لخروج سليمان شاه من الأناضول بعد هذه المعركة وهبوطه إلى قلعة جعبر سنة ٦٢٨هـ/سنة ١٢٣٠م عند نهر الفرات حيث لقي حتفه غريقا هناك في أثناء محاولته عبور النهر، وجرى دفنه في تلك الأنحاء[2].

أيا كان الأمر، فقد كان مع سليمان شاه أربعة من أبنائه هم: سنقور تكين، وكون طوغدي، أرطغرل، دوندو، فرجع سنقور تكين وكون طوغدي إلى ناحية الشرق، على حين فضل أرطغرل ودوندو[3] البقاء في الشام على العودة إلى الشرق، وذلك للبحث عن بديل آمن ينأى بهم عن الاحتكاك بالمغول وعملائهم.

وفي سبيل الوصول إلى هذا البديل الآمن بادر أرطغرل فأوفد ابنه ساوجي إلى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ في

---

(١) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٢٩، وانظر أيضا: د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص٦، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٦.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٧، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٣، روبير ماتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٧.

(٣) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٢٩، د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٨٤.

قونية طالبا منه الموافقة على تخصيص منطقة مراع لإقامة قبيلة قابي في كنفه[1].

وعيّن كيقباذ لأرطغرل سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م منطقة المستنقعات الواقعة على الحدود الشمالية الغربية للأناضول قبالة أملاك الروم البيزنطيين على مقربة من مدينة (سكود) في وادي قره سي على فرع نهر الفرات الغربي، وكذا جبلي طومانيج طاغ، فترك له بذلك أمر توسيع ممتلكاته هو على حساب جيرانه من البيزنطيين[2].

ولم تعطل وفاة ساوجي - قبل عودته إلى أبيه أرطغرل - تحرك قبيلة قابي شمالا، فدخلت بذلك إلى جنوبي الأناضول، وهي في طريقها إلى أقصى الشمال الغربي منه حيث حدد لها السلطان السلجوقي ذلك المكان النائي، ولعله قصد بذلك أن يتخلص منها من ناحية، أو يجعل منها ستارا جديدا يحمي حدوده الغربية في مواجهة البيزنطيين، من ناحية أخرى كي يتفرغ هو للتعامل مع الأحداث في شرقي الأناضول[3].

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٩، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٧.

(٢) البدليسي : شرفنامه جـ٢ص٨، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٣،بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٤، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٣.

(٣) د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٣٧، وانظر أيضا: د. حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١٩.. وهو يذكر " أن قبيلة عثمان تخيرت نواحي وسط آسيا الصغرى فحطت فيها" وليس هذا دقيقا من الناحية الجغرافية.

وفي أثناء السير في الطريق المرسوم تحركت النخوة التركية للدفاع عن جيش ضعيف أحاط بها جيش آخر متغلب، واتضح بعد المعركة أن هذا الجيش الضعيف كان جزءا من جيش السلطان علاء الدين كيقباد أما الجيش الآخر فقد كان مجهول الهوية[1].

وقد اختلفت الآراء حول حقيقة هذا الجيش المجهول الهوية، أهو جيش مغولي أم جيش بيزنطي، وفي ضوء المنهج السلمي الذي التزمه السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي تجاه المغول، فإنه يمكننا أن نؤكد أن هذا الجيش لم يكن مغوليا، وفي ضوء الوقائع العسكرية فإنه لم يثبت تاريخيا وجود جيش مغولي في تلك الأنحاء في هذا التاريخ.

ويؤكد ما ذهبتُ إليه أن السلطان السلجوقي علاء الدين قد كافأ رجال قايي الأشداء على موقفهم هذا بأن منح زعيمهم أرطغرل لقب محافظ الحدود ومنحه لقب (بك) أي الأمير[2]، وزاد في إقطاعهم في الأراضي الواقعة في شمال غربي الأناضول، وهو مكان لم يصل إليه من قبل أي جيش مغولي.

وقد قام أرطغرل بمهاجمة حدود الدولة البيزنطية باسم السلطان علاء الدين، وظل ملتزما بهذه السياسة حتى وفاته سنة

---

(١) جون باتريك: القرون العثمانية ، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ص٢١، محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٣٩.

(٢) محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٤٠، د. على الصلابي: الدولة العثمانية ص٤٤.

وفي أثناء السير في الطريق المرسوم تحركت النخوة التركية للدفاع عن جيش ضعيف أحاط بها جيش آخر متغلب، واتضح بعد المعركة أن هذا الجيش الضعيف كان جزءا من جيش السلطان علاء الدين كيقباذ أما الجيش الآخر فقد كان مجهول الهوية[1].

وقد اختلفت الآراء حول حقيقة هذا الجيش المجهول الهوية، أهو جيش مغولي أم جيش بيزنطي، وفي ضوء المنهج السلمي الذي التزمه السلطان علاء الدين كيقباذ السلجوقي تجاه المغول، فإنه يمكننا أن نؤكد أن هذا الجيش لم يكن مغوليا، وفي ضوء الوقائع العسكرية فإنه لم يثبت تاريخيا وجود جيش مغولي في تلك الأنحاء في هذا التاريخ.

ويؤكد ما ذهبتُ إليه أن السلطان السلجوقي علاء الدين قد كافأ رجال قابي الأشداء على موقفهم هذا بأن منح زعيمهم أرطغرل لقب محافظ الحدود ومنحه لقب (بك) أي الأمير[2]، وزاد في إقطاعهم في الأراضي الواقعة في شمال غربي الأناضول، وهو مكان لم يصل إليه من قبل أي جيش مغولي.

وقد قام أرطغرل بمهاجمة حدود الدولة البيزنطية باسم السلطان علاء الدين، وظل ملتزما بهذه السياسة حتى وفاته سنة

---

(١) جون باتريك: القرون العثمانية ، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ص٢١، محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٣٩.

(٢) محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٤٠، د. علي الصلابي: الدولة العثمانية ص٤٤.

٦٨٧هـ/ سنة ١٢٨٨م عن عمر مديد جاوز الثمانين عاما[١].

وفي الحقيقة تميزت الإمارة التي أقامها أرطغرل في أقصى الشمال الغربي بالأناضول بميزتين: **أولهما: أنها** من الناحية الجغرافية كانت بمنأى عن الغزو المغولي، كما أنها كانت بعيدة عن الإمارات التركية القوية آنذاك في جنوبي الأناضول وجنوب غربه، وثانيهما: أنها كانت الإمارة التركية الوحيدة التي كانت بمثابة (رباط) يواجه المناطق البيزنطية التي لم تفتح بعد في الأناضول[٢]

قيام الدولة العثمانية

عثمان مؤسس الدولة (٦٨٩هـ/ ١٢٨٩م=٧٢٦هـ/١٣٢٦م)

ولد عثمان بن أرطغرل سنة٦٥٦هـ/ سنة ١٢٥٨م، وهي نفس السنة التي سقطت فيها بغداد في أيدي المغول بقيادة هولاكو حفيد جنكيز خان ، فكان مولده إيذانا ببداية دولة إسلامية جديدة في أعقاب دولة إسلامية ولت.

وتولى عثمان إمارة قبيلة (قابي) في شمالي غرب الأناضول عقب وفاة أبيه أرطغرل سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م، وكانت هذه التولية بناء على رغبة السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الثاني، وكان

---

(١) أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٠، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١٠٩، خليل أدهم: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ٢ص٤٤٢، وهو يذكر أن أرطغرل تجاوز تسعين سنة من العمر.

(٢) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٢٦، يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٩.

عثمان آنذاك قد تجاوز الثلاثين من عمره[1] شابا قوي الجسم والنفس معا، وإلى هذا الشاب الطموح نسبت الدولة العثمانية باعتباره المؤسس الحقيقي لهذه الدولة الفتية[2].

وقد نجح عثمان في الاستيلاء على قلعة (قرة حصار) وهي قلعة عظيمة للروم البيزنطيين على نهر (سقاري) ووقعت منطقة (نيقيه) بذلك تحت التهديد المباشر لقوات عثمان[3].

وحين استأنف عثمان الحرب ضد البيزنطيين تقاطر إليه المجاهدون من أرجاء آسيا الصغرى [الأناضول] ومن القبائل التركية من شرقي آسيا، ولحق به أيضا "الأخيان" أي جماعات الصناع والتجار المنظمة على غرار الصوفية والتي كانت منتشرة آنذاك في الأناضول[4].

وساعدت الأوضاع السياسية المعاصرة العثمانيين كثيرا، إذ حظوا بتأييد علاء الدين كيقباذ الثالث سلطان سلاجقة الروم في

---

(١) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٢، د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٨٤.

(٢) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٢٢، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١٠٩.

(٣) جون باترك: القرون العثمانية ص٢٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٤، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩١، د. عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربي ص٣٨.

(٤) كارل بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٤، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص٤٣، جون باتريك: القرون العثمانية ص٢٦.

قونية، ومن ثمة فإنه منح عثمان لقب (حضرة عثمان الغازي) تعبيرا عن رضاه عما يقوم به العثمانيون من فتوحات في شمال غربي الأناضول في مواجهة البيزنطيين، وعلاوة على ذلك أقطعه كافة الأراضي والقلاع التي استولى عليها، وأجاز له ضرب العملة باسمه في مقره (قره حصار) ، وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة مقرونا باسم السلطان السلجوقي، وبذلك صار عثمان ملكا لا ينقصه إلا اللقب[١].

وأمر عثمان بتلاوة الخطبة في صلاة الجمعة باسمه وبطبيعة الحال فإنه كان يذكر أولا اسم الخليفة العباسي في مصر، ثم الإيلخان المغولي في تبريز ثم السلطان السلجوقي في قونية ثم اسمه هو[٢].

ومن جهة أخرى انهمك المغول في تلك الأثناء في القضاء على سلاجقة الروم في قونية، ومن ثمة لم يعكروا على العثمانيين صفوهم في أقصى الشمال الغربي للأناضول[٣].

---

(١) أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣١، محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٤٠، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٩، خليل أدهم : تاريخ الدول الإسلامية جـ١ص٣١٧.

(٢) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، جـ١ ص٩١.

(٣) كارل بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٥، د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٨٤، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢١. وهو يذكر أن عثمان سعى إلى احتلال التخوم الحدودية المجاورة للدولة البيزنطية بعد أن تأكد سلفا من تعاطف الخان المغولي أرغون(٦٨٣: ٦٩٠هـ = ١٢٨٤: ١٢٩١م) مع مساعيه.

واضطر السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الثالث بعد عجزه عن مقاومة التسلط المغولي، ثم هزيمته أمام جيش غازان خان المغولي [٦٩٤: ٧٠٣] إلى الهرب في اتجاه أقصى الغرب صوب حدود الدولة البيزنطية ، حيث وافته المنية بعد ذلك سنة ٧٠٠هـ/ سنة ١٣٠٠م(١).

ونجم عن انهيار دولة سلاجقة الروم فراغ سياسي كبير وانضم عدد لا بأس به من جندها إلى لواء العثمانيين، ومن ثم أعلن عثمان الذي استشعر في نفسه وجيشه القوة الكافية نفسه سلطانا مستقلا، واتخذ من مدينة إسكي شهر الواقعة في غربي قونية عاصمة جديدة له(٢).

وأولى عثمان اهتماما فائقا بتنظيم الجيش العثماني ولي اهتماما كبيرا بترتيب شئون الحكومة، وتثبيت الكيان العثماني في غربي الأناضول(٣) استعدادا لمواجهة مرتقبة مع الروم البيزنطيين الذين كانوا يراقبون بقلق بالغ التغيرات الجديدة التي نجمت عن انهيار دولة سلاجقة الروم وازدياد خطر العثمانيين في غرب

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ [تاريخ غازان] ص

أحمد كمال حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ص٩٣.

(٢) د. علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص١٥، د.محمد عبد الله هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص١٧.

(٣) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٢، محمد فؤاد كوبريلي الدولة العثمانية ص٧٦.

الأناضول[1].

واضطر الإمبراطور البيزنطي اندرونيك الثاني في عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م إلى إيفاد رسل إلى غازان خان المغولي ليقترحوا عليه التحالف، فقد كان يأمل في أن المغول وهم السادة في وسط الأناضول وشرقيه سوف يفرضون النظام على الأمراء الحدوديين الذين تزايدت جسارتهم[2].

ولقد بلغ من شدة الخطر الذي استشعر الإمبراطور البيزنطي تزايده من قبل العثمانيين أن أرسل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ) سلطان المماليك في مصر والشام آنذاك طالبا منه التدخل بما لديه من نفوذ لدى العثمانيين كي يوقفوا إغاراتهم على حدود الدولة البيزنطية[3].

واستطاع الأتراك العثمانيون بقيادة عثمان القيام سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م بمهام عسكرية مهمة للسيطرة على القلاع المطلة على مضيق البسفور، وبحر مرمرة وفتحوا قلاعًا عدة منها: قلعة بيله جك، وقلعة ليفكه[4]، وآق حصار، وتوجوا ذلك كله بعمل عظيم تمثل في هزيمة الجيش البيزنطي في موقعة قويون حصار[5].

---

(١) د. عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربي ص٣٨.

(٢) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٣.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ق٢ م١ ص٢٥٩.

(٤) د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٤، ١١٧، د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١١.

(٥) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٢٠- ٢١، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٣.

وقد حاول بعض أمراء القبائل التركية في الأناضول الاستعانة بفرق من جيش المغول واستدعوهم لنجدتهم، فسار إليهم جيش عثمان بقيادة ابنه أورخان وتمكن بعد حرب عنيفة من تشتيت شملهم(١)، وإعادتهم إلى وسط الأناضول، فغضوا الطرف عن محاربة العثمانيين وانصرفوا إلى مشاكلهم الأخرى.

ولم يتوقف السلطان عثمان الغازي عن مواصلة جهوده في الفتح، فوصلت جيوشه إلى بروسة في أقصى غربي الأناضول واستولى عليها بعد أن كانت تابعة للإمبراطور البيزنطي، واتخذها عاصمة جديدة له، وأمر بتحويل كنيستها إلى مسجد جامع، وأوصى بأن يدفن فيه عند وفاته(٢).

وقد وافته المنية في رمضان سنة ٧٢٦هـ/ نوفمبر سنة ١٣٢٦م، عن سبعين عاما قضى معظمها في تأسيس دولة الأتراك العثمانيين في الأناضول(٣)، حتى اعتبره معظم المؤرخين المؤسس الحقيقي لهذه الدولة.

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤١، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص١٦.

(٢) د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٣٩، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٥.

(٣) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٢٦، آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٢، عبد المؤمن أكرم: أضواء على تاريخ توران ص١٦٦.

وكان عثمان قد التزم بخطوات مهمة أثرت في تدعيم نشأة الدولة العثمانية في الأناضول، ومنها:

١. التوسع التدريجي في غربي الأناضول في اتجاه حدود الدولة البيزنطية[١] مستفيدا من الظروف السياسية التي تمثلت في ضعفها من جراء الصراع الداخلي من جهة، ومشاكلها مع دول البلقان من جهة أخرى[٢].

٢. الحرص على استمرار صبغ المدن المفتوحة بالطابع التركي من الناحيتين العسكرية والإدارية، ثم من الناحية الاجتماعية المتمثلة في تطبيق العادات والتقاليد ومفردات اللغة التركية[٣].

٣. مصاهرة الكيانات السياسية المجاورة، ومن ذلك زواجه بمسيحية، واختياره زوجة مسيحية أخرى يونانية الأصل تدعى نيلوفر لتكون زوجة لابنه أورخان[٤] الذي عمد إلى تدعيم هذا

---

(١) د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١١، د.محمد هريدي: الحروب العثمانية والفارسية ص١٧.

(٢) د.عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٣٨.

(٣) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص٨٢، ٨٤، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٩، وهو يذكر أن عثمان عندما شرع في بناء دولته أخذ يهب الدور التي هجرها المسيحيون إلى إناس قادمين من إمارة جيرمان ويحول الكنائس إلى مساجد ويقيم الصلاة الإسلامية وأخيرًا ينشئ سوقا تجتذب أيضا سكان بيلجيك المدينة الواقعة في أرض بيزنطية.

(٤) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص١٠، ص٢٩ ، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٠، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٤.

النوع من المصاهرات بالزواج من إحدى بنات الإمبراطور البيزنطي الذي لم يجد عونا عسكريا من الدول الأوربية في ذلك الوقت.

٤. استخدام نظام الجند المرتزقة العسكريين في تدعيم صفوف الجيش العثماني الذي كان قليل العدد عند نشأة الدولة، ولقد استمر ذلك فيما بعد - في عهد ابنه أورخان- بنظام استجلاب الرقيق ثم تطور ذلك فيما بعد بظهور فرق الإنكشارية(١).

هكذا نجح عثمان بن أرطغرل في الحفاظ على كيان العثمانيين الأول في الأناضول، بأن حوّل الجماعة العثمانية اللاجئة في الأناضول إلى دولة مستقرة ذات بنيان سياسي وعسكري واضح، وفرض على إمبراطور بيزنطة وملوك أوربا الشرقية أن يعيدوا حساباتهم من جديد حيال هذه القوة الجديدة.

ديانة العثمانيين

تشير بعض الروايات إلى أن العثمانيين لم يعتنقوا الإسلام قبل دخولهم الأناضول، وأن عثمان نفسه لم يؤمن بالإسلام إلا بعد أن رأى رؤيا تشير إلى اتساع ملكه عن طريق نسبه بالشيخ أده بالي القرماني، وقبول هذا الشيخ السني أن يزوجه ابنته شرط

---

(١) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٥٦، ٥٧، د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٨٥

إعلان إسلامه أولاً (١).

وأود أن أوضح أن العثمانيين الذين انتسبوا إلى الغز الأتراك كانوا مسلمين منذ عهد بعيد مثل نظرائهم السلاجقة، وأن هجـرتهم من تركستان إلى بلاد ما وراء النهر ثم إلى بلخ في خراسـان قد وضعتهم في بيئة إسلامية واضحة المعالم، وإن هجرتهم من بلـخ إلى الأناضول قد مرت بهم عبر بيئات إسلامية أخرى، ومن ثمـة فإنه من الصعب بعد ذلك كله قبـول القـول بـأنهم لـم يكونـوا مسلمين (٢).

كذلك لم تشر هذه الروايات إلى المعتقد الديني الـذي كـان العثمانيون يدينون به من قبـل، وهـل كـانوا مـن أهـل الذمـة [المسيحيين، اليهود] أم كانوا وثنيين بغير دين سماوي ؟

فإذا افترضنا جدلا أن العثمانيين كانوا شامانيين، على اعتبار أن الشامانية كانت الديانة الغالبة على البدو الأتراك في تركـستان ومجاوريهم من القبائل المغولية البدوية في منغوليـا قبـل القـرن السادس الهجري، فإن ذلك لا يفسر لنا السبب في هجرة العثمانيين من بلخ سنة ٦١٦هـ كما سبق القول خوفا من المغول الذين كانوا آنذاك يشاركون الأتراك البدو في اعتناق الديانة الشامانية وفي كثير

---

(١) ويذكر بروكلمان أن الشيخ أده بالي رئيس المشايخ الصوفية قد سلّم (قلّد) عثمان منطقة الجهاد والسيف بوصفه غازيا (مجاهدا في سبيل الله). انظر: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٤.

(٢) انظر: محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٣٠.

من العادات والتقاليد والمفردات اللغوية والاشتغال بالرعي والصيد.

على أية حال، فالرأي الأقرب إلى الصواب في تقديري أن العثمانيين كانوا مسلمين قبل دخولهم الأناضول، وإلا كان بوسعهم ألا يفدوا على بلاد سلاجقة الروم، وأن يتحركوا عنها إلى مناطق أخرى مجاورة غير مسلمة، ومن ذلك إمارة أنطاكية الصليبية المجاورة لحلب أو دولة أرمينية الواقعة في الشمال الشرقي لهضبة الأناضول.

وعلى الإجمال فقد اتصف عثمان مؤسس الدولة العثمانية بصفات عدة منها: التمسك بالروح الإسلامية في بساطة، وقد اتضحت هذه الروح الإسلامية في الجوانب العسكرية بالإضافة إلى المقدرة الإدارية الفائقة[1]، ولعل الوصية التي تركها عثمان لابنه أورخان تكشف عن ذلك وفيها:

"يا بني .. إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلا.

يا بني .. أحط مَنْ أطاعك بالإعزاز، وأنعم على الجنود، ولا يغرنك الشيطان بجندك ومالك، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة.

يا بني .. إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضاة الله جل جلاله.

يا بني .. لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم

---

(١) د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص٢٢، د.علي الصلابي: الدولة العثمانية ص٥٠.

أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت، وهذا يا ولدي ما أنت أهل له"(١)

عموما يمكن للمرء أن يقبل الرواية التي تقول: "كان لتشجيع العثمانيين لممثلي المذهب السني ضد أصحاب البدع وعناصر الدراويش غير الجديرين بالثقة نتيجتان هامتان هما: التأكيد على التسامح مع الرعايا المسيحيين، وإنشاء مدارس المساجد لتخريج علماء من جهة ورجال إدارة من جهة أخرى"(٢)

أورخان(*) ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م . ٧٦١هـ/١٣٦٠م

خلف أورخان أباه الراحل عثمان، وبعد أن فرغ من مراسم دفن أبيه في المسجد الجامع في بروسة، قرر نقل العاصمة العثمانية إليها(٣)، ويعني ذلك أنه اختار الإقامة في شمال غربي الأناضول

---

(١) جون باتريك: القرون العثمانية ص٢٦، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٦.

(٢) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٢٧، جون باتريك: القرون العثمانية ص٢٥.

(*) ولد أورخان ثاني أبناء عثمان سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وكان في السابعة والأربعين من عمره حين تولى الحكم بعد أبيه عثمان سنة ٧٢٧هـ الذي اختاره ليخلفه مفضلا إياه على ابنه الأكبر علاء الدين، ويرجع السبب في تفضيل أورخان لما اتصف به من علو الهمة والشجاعة والإقدام على حين اتصف علاء الدين بالميل إلى الورع والعزلة .. أنظر: محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٤١، أورخان محمد : روائع التاريخ العثماني ص٨.

(٣) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٥، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩٣.

حـدود الدولـة البيزنطيـة، وليناى عن
ليكون على مقربة من وسط الأناضول وشرقه
الاضطرابات السياسية التي كان يعاني منها
من جراء ضغط المغول عليه في عهد آخر ايلخانييهم الأقوياء أبي
سعيد بن أولجايتو (٧١٦: ٧٣٦)ه من جهة أخرى .

وقد عاش قلب الأناضول فترة حرجة آنذاك من جراء تمرد
حاكمه المغولي تمرتاش بن جوبان على سلطة الإيلخان أبي سعيد،
ولم يتوقف هذا التمرد إلا بمقتل تمرتاش هذا في مصر علـى يـد
رجال سلطانها الناصر محمد بن قلاوون الذي قبل التـصالح مـع
مغول إيران[١] بعد فترة من الـصراع العـسكري المريـر بـين
الطرفين .

التوسع في الأناضول

كان على أورخان أن يكمل الفتوحات التي بدأها أبوه عثمان في غربي الأناضول من جهة، وأن يدعم الكيان التركي العثماني في تلك المنطقة من جهة أخرى، ومن هنا شرع في أولى سنوات حكمه في تنفيذ حركة الفتوحات العثمانية بأن استولى سنة ٧٢٨هـ/ سنة ١٣٢٧م على أزمير (نيقوميديا) ثم على نيقية في ٢١ جمادى الأولى٧٣١هـ/ ٢مارس ١٣٣١م، ومدينة (أزنيق)[٢]، التـي تعد

---

(١) د.فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٣٣٠، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص٦٩، ٧٠.

(٢) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٥، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ص٤٤٢، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٩٠، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٦، د.محمد

ثانية المدن البيزنطية بعد القسطنطينية، وقد أعلن أورخان بها حرية إقامة الشعائر الدينية، ولكنه من ناحية أخرى أقام بها عدة مدارس إسلامية وتكايا للفقراء والمعوزين[1] مدعما بذلك سماحة الإسلام مع غير المسلمين.

ولعبت الأحوال السياسية دورا مساعدا لأورخان، ففي إمارة قره سي اشتد الخلاف بين ولدي حاكمها السابق بعد وفاته، فتدخل أورخان لفض الخلاف أولا، ثم ضم هذه الإمارة إلى دائرة حكمه ثانيا[2]، وقد آلت إمارة عمر خان أيضا إلى نفس المصير.

وقد أتاح ذلك كله للسلطان أورخان أن يحكم سيطرته على بحر مرمرة، وأن يهدد قلعة (جناق) في شبه جزيرة (غاليبولي) عبر مضيق الدردنيل[3].

إمبراطور القسطنطينية

كان السلطان أورخان قد تمكن في بداية حكمه من صد حملة بيزنطية بقيادة الإمبراطور "أندرونيك" الثالث سنة٧٢٩هـ/

حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١١.

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٣، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٤.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٣٤، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص١٦، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٧

(٣) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩٦- ٩٧، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ص٤٤٢.

١٣٢٨م، عند بيليكانون في البلقان[١]، غير أن ذلك لم يدفع إلى تفكير أورخان جديا في مهاجمة أملاك البيزنطيين في الجانب الأوربي المقابل للأناضول، واكتفى العثمانيون بإظهار مدى قوتهم العسكرية.

واضطر الإمبراطور البيزنطي الذي شعر بالخطر العثماني الداهم إلى الإقرار بالأمر الواقع وقبول ما انتهت إليه الفتوحات العثمانية، وجاء زواج الأمير خليل بن أورخان من ابنة الإمبراطور البيزنطيكنتا كوزين دليلا على تحسن العلاقات بين الطرفين.[٢]

وقد شجع ذلك الإمبراطور البيزنطي جان باليولوج في سنة ٧٥٦هـ/سنة١٣٥٥م، من أن يرسل وفدا إلى السلطان أورخان يطلب منه مدّ يد المساعدة لصد إغارات (دوشان) ملك الصرب[٣]، الذي كان قد جمع تحت سلطانه معظم قبائل الصقالبة الغربية وفتح بمساعدتهم بلاد البلغار ثم زحف على مدينة القسطنطينية، فعرض الإمبراطور على السلطان أورخان أن يزوجه ابنته في مقابل هذه المساعدة، فأجاب السلطان طلبه، وأرسل إليه عددا كبيرا من جنوده لنجدته، لكن الموت فاجأ الملك (دوشان) قبل وصوله بجيوشه إلى

---

(١) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص٢٨.

(٢) د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٧، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص١٩، جون باتريك: تاريخ القرون العثمانية ص٤٦.

(٣) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩٥.

القسطنطينية، فعاد العثمانيون إلى بلادهم[1].

وقد تحقق للعثمانيين في أثناء رحلتهم السابقة إلى القسطنطينية ما آلت إليه هذه المدينة الفخمة من ضعف وانحلال، فدفع ذلك السلطان أورخان إلى تجهيز العساكر سرا لاجتياز البحر واحتلال بعض المواقع على الشاطئ الأوربي لتكون منطلقا لفتوحات عثمانية قادمة في أوربا تتيح للعثمانيين محاصرة القسطنطينية نفسها في أقرب وقت ممكن.

وفي سنة ٧٥٨هـ /سنة ١٣٥٧م عبر جيش عثماني بقيادة ولي العهد سليمان بن أورخان مضيق الدردنيل إلى الشاطئ الأوربي حيث تمكن من الاستيلاء على قلعة تزميب[2].

كذلك نجح العثمانيون في نفس السنة في دخول (غاليبولي) التي كانت قد تهدمت بعض أسوارها بفعل زلزال عنيف، واستولوا بغير عناء على عدد من مدنها، بعد أن هجرها أهلها[3].

وهكذا أصبحت غاليبولي أول قاعدة عثمانية في أوربا

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٣، ٤٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص٣٦.

(٢) محمد فريد: تاريخ الدولة العثمانية ص٤٤، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٨، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٣٠.

(٣) محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ص ١٦٤، بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص٣٨.

انطلقت منها الحملات الأولى التي انتهت – فيما بعد – بفتح شبه جزيرة البلقان[1].

وقد استفاد العثمانيون في ذلك من تفكك "سلافي" البلقان ومن الخلافات المذهبية بين الأرثوذكس والكاثوليك وقد أسفرت هذه الفتوحات العثمانية عن ظهور ولاية روميليا[2].

وشاءت الأقدار أن يسقط ولي العهد سليمان عن صهوة جواده في إحدى جولات الصيد في غاليبولي، وأن يلقى حتفه من جراء ذلك سنة ٧٥٩هـ/ سنة ١٣٥٧م، وأن تؤول ولاية العهد من بعده إلى أخيه الأصغر مراد الأول[3].

ولم يتحمل السلطان أورخان هذا الأمر بسهولة، وسرعان ما أدركته المنية وهو في الحادية والثمانين من عمره، وبعد فترة حكم ناهزت خمسا وثلاثين سنة[4]، أسهم من خلالها في استكمال ما نهض به أبوه عثمان من تدعيم لكيان الدولة العثمانية وتثبيت لأركان قوتها.

---

(١) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٥٢، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٣٩.

(٢) بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٤.

(٣) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٣٢، جون باتريك: القرون العثمانية ص٤١، عبد المؤمن أكرم: أضواء على تاريخ تركيا ص١٦٧.

(٤) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٤، يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩٧.

الإصلاح الداخلي

كان الأمير علاء الدين الابن الأكبر للسلطان عثمان قد قبل التخلي عن حقه في اعتلاء العرش لأخيه الأصغر أورخان[1]، واكتفى بقبول منصب الوزارة الذي قلده إياه أخوه السلطان أورخان بعد توليه العرش، فقام علاء الدين بتدبير شئون إدارة الدولة خير قيام، فكان من أهم الإنجازات التي نهضت بها الدولة في أيامهما معا:

١. سك العملة الجديدة التي تحمل اسم السلطان أورخان، وهي عملة مستقلة تماما عن التبعية لأي حاكم آخر وخصوصا سلاجقة الروم، وقد كتب على أحد وجهيها "لا إله إلا الله محمد رسول الله" تحيط بها أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، وعلى الوجه الآخر اسم أورخان[2].

٢. تخصيص الأوقاف الضخمة للإنفاق على المنشآت العامة ومنها المدارس، المساجد، المستشفيات، الملاجئ، وأضفى ذلك على الدولة العثمانية سمات الدولة المستقرة[3].

٣. مراجعة النظم المدنية والعسكرية وتطويرها بما يلائم المكانة

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولةالعثمانية جـ١ص٢٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص٢٨.

(٢) د.محمد عبد اللطيف هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص١٨، أورخان محمد: روائع من التاريخ العثماني ص٨.

(٣) د. على الصلابي: تاريخ الدولة العثمانية ص٥٢.

الجديدة للدولة، وكان من ثمار ذلك تطبيق نظام الانكشارية (أي الجيش الجديد) وهي فرق تكونت في البداية من الشباب الصغار الذين يؤسرون في الحرب، وتم تربيتهم تربية عسكرية إسلامية في معسكرات خاصة، وكانوا يستخدمون في البداية حرسا خاصا للسلطان، ثم ما لبثوا أن كونوا الجيش النظامي الرئيسي للدولة بعد زيادة أعدادهم وازدياد مهاراتهم(١).

٤. إعلان التسامح الديني مع غير المسلمين، أي السماح لهم بإقامة شعائرهم الدينية واختيار رؤسائهم الدينيين، وعدم إكراههم على اعتناق الإسلام، وقد أدى ذلك إلى جذب عدد كبير من الإغريق الوثنيين والمسيحيين في الأناضول إلى الدخول تدريجيا في الإسلام(٢).

مراد الأول(*) ٧٦١: ٧٩١هـ / ١٣٦٠: ١٣٨٩م

ارتقى مراد الأول العرش وهو في سن يناهز الأربعين من عمره، وقد ساعدته الظروف كثيرا بوفاة أخيه الأكبر سنا سليمان

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص١٥، ٢٢بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٥، د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١٣، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ص٤٤٢.

(٢) جون باتريك: القرون العثمانية ص٣٩- ٤٠.

(*) ولد مراد الأول سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، انظر عن صفات مراد الأول: البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٥٠، أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٥.

صريعا ثم وفاة أبيهما أورخان بعده مباشرة كما سبق القول.

الأناضول

كان استقرار الأناضول يمثل ضرورة مهمة لدى العثمانيين لأنه كان يعني استقرار الدولة وتثبيت دعائمها الأولى التي نشأت عليها واتخذتها منطلقا لأهداف جديدة.

وقد بادر مراد الأول إلى المحافظة على ذلك الاتجاه، فأعاد بسط نفوذ العثمانيين على منطقة كوتاهية في غربي الأناضول، وكانت قد خضعت لأمير القرمان، فتسلم مراد قلعتها من هذا الأمير، ووافق سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨١م على تزويج ابنه الأمير بايزيد الأول من ابنة أمير القرمان تدعيما للصلات بينهما[١].

ويبدو أن أمير القرمان لم يكن راضيا عن ذلك، فسعى إلى تحريض بعض أمراء الأناضول المستقلين على قتال العثمانيين، فكانت عاقبته احتلال السلطان العثماني مراد الأول لعاصمة القرمانيين أنقرة[٢].

وسرعان ما امتد نفوذ مراد الأول إلى جنوبي الأناضول حيث نجح جيشه في الاستيلاء على إمارة (تكة) التي كانت قد قامت

---

(١) د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٠، د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١٢٢، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، جـ١ ص٥٦، جون باتريك: القرون العثمانية ص٥٧.

(٢) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٥، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٤.

في القرن الثامن الهجري وكان مركزها شمالي منطقة أنطاليا غربي كيليكيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط[١].

وقد امتدت حركة الفتح على يد مراد الأول عقب ذلك من أنقرة شرقا حتى بلغت (توقات) في أقصى الشمال الشرقي للأناضول، ولم تستطع أي من الإمارات التركية الأخرى في الأناضول أن تسفر عن معارضتها لهذا النفوذ العثماني المسيطر[٢].

وقد أدرك السلطان مراد مدى خطورة تحركات تيمورلنك الذي كان قد اجتاح مدينة تبريز عاصمة إقليم أذربيجان المجاور لشرقي الأناضول، فأرسل إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق يحذره من هذا الخطر المشترك الذي يهدد العثمانيين والمماليك على السواء[٣].

أوربا

بدأ مراد الأول عهده بتدعيم الوجود العثماني في شبه جزيرة غاليبولي[٤] مستغلا ضعف الإمبراطورية البيزنطية، وانغماسها في مشاكلها الداخلية ومستفيدا من الموقع الجغرافي المهم لغاليبولي

---

(١) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٥، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص١٩.

(٢) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٢٤.

(٣) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، جـ١ ص١٢٨، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٥٩٨، عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٢ ص٧٧٨.

(٤) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٥٠.

على الشاطئ الأوربي المقابل للأناضول.

وأعقب مراد ذلك مباشرة بالاستيلاء على مدينة (أدرنة) سنة ٧٦٤هـ/ سنة ١٣٦٢م، ونقل العاصمة العثمانية إليها بدلا من (بروسة) العاصمة السابقة، فسجل بذلك أول انتقال عثماني ثابت ومنظم من الجانب الأناضولي إلى الجانب الأوربي[١] فعد ذلك تمهيدا للانتقال شمالا إلى القسطنطينية.

ولم يكتف مراد بذلك بل استمر في سياسة تدعيم الوجود العثماني في الجانب الأوربي، فاستولى على الأراضي البيزنطية الواقعة في جنوبي الأناضول تدعيما للعاصمة الجديدة أدرنة[٢].

وترتب على هذا الوضع الخطير أن أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ذاتها محاطة بالأراضي العثمانية، وشكل ذلك حصارا شديدا عليها، فاضطر الإمبراطور البيزنطي إلى دفع الجزية السنوية للعثمانيين[٣]، والإقرار بالفتوحات العثمانية في

---

(١) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٥، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٥، د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٨٥، د.عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٣٩، يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩٨.

(٢) بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٤، أورخان محمد: من روائع التاريخ العثماني ص١٥.

(٣) د.عبد الله جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١١٩.

الأراضي البيزنطية[1].

وقد شجع السلطان مراد الأول سياسة الاستيطان العثماني فأمر بنقل بعض جماعات من سكان الأناضول الأتراك إلى الروملي في جنوبي اليونان[2].

وفي جانب آخر فتح السلطان مراد الطريق أمام الإنكشارية ليصبحوا مؤسسة حاكمة في الدولة العثمانية قائمة على الإخلاص للسلطان والمساهمة في النظام المدني، وقد ساعد ذلك الدور النشط في استمرار حملات مراد وقادته وفي تأمين الاستيطان في الأراضي المفتوحة وضمان استقرارها[3].

وشعرت أوربا كلها بالخطر العثماني الداهم الذي كان يحمل في طياته تهديدا برد فعل إسلامي قوي ضد الحروب الصليبية السابقة التي شنها الغرب الأوربي على سواحل مصر والشام على امتداد سبعة حروب مدمرة أثرت على حياة المسلمين في تلك الآونة أبلغ تأثير.

وبدأت أوربا تعبر عن نفسها إزاء هذا الموقف الخطير بالتلويح بفكرة تحقيق الاتحاد بين الكنيستين: الكاثوليكية الأم في

---

(1) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٢٩، جون باتريك: القرون العثمانية ص٤٦، وانظر عن أدرنة كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ص٦٤٢، ص٦٦٦، ص٦٩٤.

(2) روبير ماتران: تاريخ لدولة العثمانية جـ١ص٥٩.

(3) جون باتريك: القرون العثمانية ص٥٢.

روما، والأرثوذكسية في القسطنطينية، لكن كلا الطرفين ظل متحفظا ومتشددا في قبول هذا الاتحاد الذي كان مدفوعا بدعوة البابا (أوربان) الخامس في ضرورة التوحد المسيحي الأوربي لمواجهة المد العثماني الإسلامي الزاحف صوب أوربا[1].

وقد استغل ملك الصرب أوروك الخامس فرصة انشغال السلطان العثماني مراد الأول في محاصرة قلعة (بيجا) فقام بمهاجمة العاصمة العثمانية أدرنة سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م، لكن جيش ملك الصرب هزم أمام صمود العثمانيين واضطر إلى الفرار مكرهًا في نفس السنة[2].

وفي ذي الحجة سنة ٧٦٧هـ/ أغسطس سنة ١٣٦٦م تحركت حملة بحرية من إمارة البندقية، نجحت في الاستيلاء على شبه جزيرة غالبيولي، وتوجهت عقب ذلك إلى القسطنطينية تدعيما لجانب الإمبراطور البيزنطي[3]، وفي خطوة أخرى مماثلة انطلقت

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٢٤، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٥، د. محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١٤، يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٩٨.

(٢) د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٩، جون باتريك: القرون العثمانية ص٤٦.

(٣) كارل بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٢٤، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٥١.

هذه الحملة إلى البحر الأسود حيث تمكنت من الاستيلاء على بعض المدن هناك وكانت خاضعة لنفوذ الأتراك العثمانيين، وتسليم هذه المدن إلى الإمبراطور البيزنطي [1].

وأدرك العثمانيون خطورة هذا الوضع، وتحتم عليهم بناء أسطول حربي قوي يمكنه الدفاع عن بلادهم من جهة، وحماية مصالحهم في المناطق المجاورة من جهة أخرى.

ويبدو أن القوة العسكرية الفائقة التي أصبح عليها الأتراك العثمانيون إزاء الضعف الذي آل إليه حال الإمبراطور البيزنطي أندرونيك الرابع، قد جعلا من عودة غاليبولي إلى السيطرة العثمانية سلما أمرا محتما سنة ٧٧٨هـ/ سنة ١٣٧٦م [2].

وأسفرت هذه القوة العثمانية عن نفسها من جديد حين تمكنت سنة ٧٨١هـ/ سنة ١٣٧٩م من هزيمة الحلف الأوربي المكون من ملك الصرب (لازارجر بلينا نوفتش) وملك البلغار (سيسمان) اللذين اضطرا إلى طلب الصلح على أن يدفع الملكان جزية سنوية للعثمانيين، وأن يتزوج السلطان العثماني مراد من ابنة أمير البلغار [3].

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٥١.

(٢) د. على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢١، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٥٤.

(٣) أورخان محمد: روائع من التاريخ العثماني ص١٧، د.عبد الله جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١١٩.

ولم يطق ملك الصرب المهانة التي حاقت به وبحلفائه على يد العثمانيين، فعاود العمل على تكوين حلف جديد من الدول المسيحية في شرق أوربا بهدف تحطيم قوة العثمانيين غير أن النتائج لم تكن في صالح هذا الحلف المسيحي، إذ تمكن مراد الأول من الاستيلاء على بلغاريا سنة٧٨٧هـ/ سنة١٣٨٥م، ودخل عاصمتها صوفيا، ونجح أيضا في الاستيلاء على (سالونيك) في شمالي اليونان[1].

وعند قوصوه (ميدان الطيور السوداء) سنة٧٩١هـ/ سنة١٣٨٩م تمكن الجيش العثماني بقيادة السلطان مراد نفسه باقتدار بالغ من إلحاق هزيمة كبيرة بالحلفاء الأوربيين من الصرب والبلغار والمجر والبولنديين والبلقان، وقتل في هذه المعركة لازار ملك الصرب، وكانت هذه الهزيمة تعني اكتمال خضوع معظم دول البلقان للسيادة العثمانية[2].

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٢٥، محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١٥، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢١.

(٢) د.عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١١٩، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٤، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص١٩، د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١٥، جون باتريك: القرون العثمانية ص٦٠.

وفاته

كان مراد الأول مزهوا بما تحقق له من نصر على أعـ
من ملوك شرقي أوربا، فرأى بعد الانتصار الحاسم الذي حققه في
قوصوه أن يعاين بنفسه ميدان القتال، ويتفقد مواضع الحرب، لكن
فوجئ بطعنة مباغتة من جندي صربي كـان متظـاهرا بالمو
ومستلقيا بين القتلى، فأودت هذه الضربة بحياة السلطان العثما
الذي كان آنذاك في الخامسة والستين من عمره، وبعـد أن أجهز
الجند العثمانيون على القاتل الصربي، وعلى لازار ملك الصر
الذي وقع أسيرا[1]، حملوا جثمان سلطانهم الشهيد حيث أرسل من
ميدان المعركة إلى (أدرنة) ثم إلى (بروسة) حيث دفن إلى جو
أبيه أورخان وجده عثمان، وكانت وفاة مـراد الأول فـي شعب
سنة٧٩١هـ/ أكتوبر سنة١٣٨٨م عن خمس وسـتين سـنة حكـ
خلالها حوالي ثلاثين سنة.

وقد ورد في وصية مراد قبيل وفاته "لا يسعني حين رحيـ
إلا أن أشكر الله، أنه علام الغيوب المتقبل دعاء الفقير، أشهد أن
إله إلا الله، ولا يستحق الشكر والثناء إلا هو، لقد أوشـكت حيـ
على النهاية، ورأيت نصر جند الإسلام، أطيعوا ابنـي يزيـد

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٢٧، د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١٥، د.عمر عبد العزيز: المشرق العربي ص٤٠.

تعذبوا الأسرى، ولا تؤذوهم، ولا تسلبوهم، وأودعكم منذ هذه اللحظة وأودع جيشنا الظافر العظيم، إلى رحمة الله، فهو الذي يحفظ دولتنا من كل سوء"(١)

ولقد أثبت السلطان مراد الأول أنه بالفعل محارب من الطراز الأول كما أثبت أيضا تميزه بالحنكة السياسية والدراية بفنون السلام وبالرغبة في تحقيق الاستقرار فور الاستيلاء على المناطق المسيحية بصفة خاصة ، وعلى هذا فإنه لم يفرض على رعاياه من المسيحيين ضغوطا فوق طاقتهم ولم يفرض الإسلام عليهم قسراً(٢).

---

(١) د. على الصلابي: تاريخ الدولة العثمانية ص٦٠، نقلا عن : الفتوح الإسلامية عبر العصور ص٣٩١.

(٢) جون باتريك : القرون العثمانية ص٦٠- ٦١، عبد المؤمن أكرم: أضواء على تاريخ توران ص١٦٨.

بايزيد الأول(•) ٧٩١: ٨٠٥هـ/ ١٣٨٩: ١٤٠٢م

كان السلطان مراد الأول قد أوصى في لحظات حياته الأخيرة كما سبق بأن يخلفه في الحكم ابنه بايزيد الأول، فاعتلى بايزيد العرش العثماني تنفيذا لوصية أبيه، لكن الأمير يعقوب لم يرض بذلك، وأبدى اعتراضا واضحا على إضاعة حقه في وراثة العرش العثماني، ولم يتردد بايزيد الذي أصبح سلطانا في الإقدام على قتل أخيه يعقوب متعللا بالحرص على وحدة كيان الدولة وتدعيم موقفها في مواجهة الأخطار التي تحدق بهـا، لكن كبار رجال السلطنة شددوا في النكير عليه، وجاهروه باللوم والتعنيف دون جدوى، ومن ذلك الوقت جرت عادة إقدام السلاطين العثمانيين على قتل جميع إخوتهم الذكور حتى يصفو لهم المجال[1].

وقد أولى بايزيد الأول عاصمة العثمانيين أدرنـة اهتماما كبيرا، ففي سنة ٧٩٤هـ/ سنة ١٣٩٢م أمر ببناء جامع ضخم في

(•) ولد بايزيد الأول سنة ٧٦١هـ/ سنة ١٣٥٩م، وكان في الثلاثين من عمره حين تولى العرش العثماني، وقد لقب باسم (يلدرم) أي الصاعقة لسرعة تحركاته ، وقوة انقضاضه على أعدائه. انظر: أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٨، أورخان محمد: روائع من التاريخ العثماني ص٢٠.

(١) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٩، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٨، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٥٠

أطلق عليه اسمه، وخصص للإنفاق على بنائه مبالغ كبيرة، وأقام بالإضافة إلى ذلك جملة من المساجد والزوايا والمدارس بهدف نشر الإسلام وتحفيظ القرآن الكريم[1].

فتوحاته في أوربا

أدرك العثمانيون في عهد السلطان بايزيد الأول أهمية مضيق الدردنيل، فأقاموا ترسانة وقاعدة بحرية في غاليبولي سنة ٧٩٢هـ/ سنة ١٣٩٠م، وقد وقعت أولى المعارك البحرية المهمة مع الجنويين[2].

وفي سنة ٧٩٦هـ/ سنة ١٣٩٣م نجح جيش السلطان بايزيد الأول في الاستيلاء على قلعة (سلانيك) في شمالي اليونان[3]، واضطر ملكا الصرب والبلغار إلى دفع الجزية وقدم ملك الصرب شقيقته دسبينا لتكون زوجة لبايزيد، وقدم أيضا فرقة عسكرية لتعمل تحت إمرة بايزيد[4].

---

(١) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٨، أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٩.

(٢) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٤١٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٧٠.

(٣) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٥، د.عبد الله جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١٢٠، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٢.

(٤) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٦٥، جون باتريك: القرون

وواصل بايزيد الأول سياسته العسكرية ضد دول البلقان وضد البيزنطيين، فقام بمحاصرة القسطنطينية، وأوقع المجر والبندقية تحت التهديد المباشر، فأثار رعبا عاما في أوربا كلها، فانتعشت الروح الصليبية من جديد بتأييد البابا بونيفاس التاسع وتنادى الأوربيون في حركة واسعة لطرد الأتراك من الروملي وتخليص القسطنطينية من الحصار، غير أن القوة الصليبية الضخمة التي احتشدت في بودابست عاصمة المجر أمكن إبادتها على أيدي العثمانيين خلال مدة قصيرة عند مشارف نيكوبولي (نيقوبولس) سنة ٧٩٩هـ/سنة ١٣٩٦م[١].

وكانت القوة الصليبية السابقة خلال زحفها نحو نيكوبولي تحرق وتهدم كل ما يصادفها في الطريق، وتوقع أنواع المظالم بالسكان الأرثوذكس المحليين، فلما منيت بالهزيمة أمام العثمانيين تأكد الرأي القائل باستحالة طرد القوة العثمانية من الروملي[٢].

وكان من نتائج انتصار العثمانيين في معركة نيكوبولي أيضا

العثمانية ص٦٦.

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٧، بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٣٣، محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٥، د. حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص١٤٣.

(٢) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص١٩، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٦٨، جون باتريك: القرون العثمانية ص٧٣- ٧٤.

نبوغ شهرة السلطان بايزيد الأول الصاعقة في العالم الإسلامي باعتباره مجاهدا كبيرا، إذ أصبح بمقدوره أن يضع القسطنطينية تحت الحصار الشديد، وتيقن الإمبراطور البيزنطي من أن إنقاذها لن يتم إلا عن طريق المساعدة التي يمكن الحصول عليها من الخارج، وأمست المدينة العريقة قريبة من السقوط في أيدي العثمانيين[1].

واضطر الإمبراطور البيزنطي إلى الموافقة على بناء مسجد للمسلمين في القسطنطينية، وتعيين قاض مسلم بها، وتخصيص حي كامل للأتراك في المدينة[2].وفرضت الخزانة العثمانية رسوما على الكروم ومزارع الخضروات الواقعة خارج المدينة [3]

وأتاح هذا الوضع الصعب للقسطنطينية للسلطان بايزيد الأول أن يتدخل بقوة في الصراعات المريرة التي نشبت على الحكم داخلها بين الإمبراطور وأولاده، وانتهى الأمر إلى أن تدفع القسطنطينية الجزية للسلطان العثماني[4].

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العثمانية ص٥٠، د.عبد الله جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١٢٠.

(٢) د.على الصلابي: تاريخ الدولة العثمانية ص٦٧، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٦٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص٦٩.

(٣) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٦، د. أكمل الدين إحسان: مرجع سابق جـ١ص ١٩، عبد المؤمن أكرم: أضواء على تاريخ توران ص١٦٩.

(٤) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٩.

الأناضول

كان استشهاد السلطان العثماني مراد الأول عقب انتهاء معركة قوصوه دافعا لحدوث بعض الانتفاضات في إمارات الأناضول التركية ضد السيطرة العثمانية(١).

وتحتم على بايزيد الأول أن يواجه هذا الأمر من خلال سياسة واضحة متوازنة تتواءم مع طموحاته في تحقيق فتوحات جديدة في البلقان من ناحية، ومواجهة التوحد الأوروبي العسكري ضده من ناحية أخرى.

وعلى هذا سقطت في يده مدينة (آلاشهر) أو فيلادلفيا عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، وهي آخر معقل بيزنطي بقي في آسيا الصغرى فيما عدا أزمير وطرابزون الواقعة على الساحل الجنوبي للبحر الأسود، وكذلك نجح بايزيد الأول في السيطرة على أنقرة في وسط الأناضول(٢).

وكان الأمير علاء الدين ملك القرمان قد حاول استغلال فرصة انشغال بايزيد الأول في بعض حروبه في أوربا، ولكن السلطان بايزيد الأول أسرع إليه وهزمه عند موضع يقال له (آق جاي) سنة ٧٩٥هـ/ سنة ١٣٩٣م، وترتب على ذلك ضم ما بقي من أملاك

---

(١) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص١٨.

(٢) د.عبد الله جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١٢٠، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٦٢، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٠٣.

إلى العثمانيين، وسقطت بذلك ولاية القرمان في أيديهم وأصبحت ولاية عثمانية[1].

ولم يتوقف النشاط العسكري للسلطان بايزيد الأول عند هذا الحد إلا سرعان ما تمكن من فتح مدن أخرى في شرقي الأناضول منها سيواس وتوقات، وكانتا في أيدي القبائل التركمانية[2]، ثم توجه من هناك إلى إمارة قسطموني التي كانت الإمارة الأخيرة من بقايا السلاجقة المطلة على البحر الأسود، فاستولى على عدد من مدنها [سامسون، جنك، عثمان جوق] فلجأ صاحب قسطموني إلى الأمير تيمورلنك مستنجدا[3].

وفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م أظهر حاكم أذربيجان خضوعه وقدم طاعته إلى السلطان بايزيد الأول حيث أرسل مفاتيح قلاع بلده إلى سدته[4].

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٢٩، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٤٩، د.محمد عبد اللطيف هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص٢٦.

(٢) أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٣٩، د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص١٨، جون باتريك: القرون العثمانية ص٦٧.

(٣)البدليسي:شرفنامه جـ٢ص٦٥،بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٣٠، أكرم الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص١٨،

(٤) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص١١٧.

كان تيمورلنك قد أبلغ في عاصمته سمرقند أن ابنه ميران شاه قد سقط من على ظهر جواده فأصيب بارتجاج شديد في مخه، ولهذا سلك رعاياه في الكرج وأذربيجان والعراق طريق العصيان فتأهب تيمورلنك للقيام بحملة جديدة على إيران وبخاصة نواحيها الغربية، فوصل إلى مدينة تبريز عاصمة إقليم أذربيجان حيث نظم أوضاعها، وتوجه من هناك لمحاربة الكرج المسيحيين الذين كانوا قد استفادوا من الظروف السابقة فهاجموا المسلمين في إقليم أذربيجان[١].

وبعد أن أوقف تيمور إغارات الكرج على أذربيجان وأجبرهم على البقاء داخل حدود بلادهم ، أبلغ تيمور أن السلطان العثماني بايزيد الأول طلب من والي هذا البلد المال والخراج فتبادل تيمور وبايزيد مراسلات التهديد والوعيد[٢] .

وبعد جملة انتصارات في البلقان كان السلطان العثماني بايزيد الأول قد عاد على إثرها إلى بروسة عاصمة العثمانيين

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر جـ١ص٤٧٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٧ص٣٤٥، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦٠٣-٦٠٤.

(٢) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ص١٢٤، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦٠٤، د. حكيم أمين السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص١٤٤.

السابقة في أقصى الشمال الغربي للأناضول وصل إليه رسول من قبل تيمورلنك، فأغلظ له بايزيد القول، فانصرف الرسول مخذولا[١].

وفي إحدى الرسائل ذكر تيمور بايزيد بغموض أصل أسرته، وعرض عليه العفو على اعتبار أن آل عثمان قد قدموا خدمات جليلة للإسلام، فصرح بايزيد أنه سيتعقب تيمور إلى تبريز[٢] عاصمة أذربيجان.

وفي حقيقة الأمر لم يكن الصراع على أذربيجان وحده هو الذي أظهر الخلاف بين العثمانيين والتيموريين، ولم تكن رسائل التهديد بين الطرفين إلا مظهرا لهذا الخلاف الذي كان مدفوعا بعوامل عدة قوية منها على سبيل المثال:

- تحريض حاكم بغداد أحمد بن أويس الجلائري حاكم بغداد، وقرا يوسف أمير دولة التركمان المعروفة بالشياه السوداء (قراقويونلو) الذي كان يحكم في الشمال الشرقي للأناضول للعثمانيين على مهاجمة الأمراء المحليين المشمولين بحماية تيمورلنك[٣].

---

(١) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤١، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٢.

(٢) د. على الصلابي: تاريخ الدولة العثمانية ص٦٩، د. أمين حكيم السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص١٤٣.

(٣) ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ص١٤٢، ابن إياس :

الأناضول ومناصر لتيمورلنك.

- تكوين حزب معادٍ للعثمانيين في الأناضول ومناصر لتيمورلنك، وقد انضم الى هذا الحزب إمارات منها [أيدين، صاروخان، مينتيش، كرميان](1).

- تحريض البابا بونيفاسيوس وملوك أوربا لتيمورلنك [إما نويل الثاني- شارل السادس- ملك فرنسا- جنوه، البندقية] وكانوا متأثرين بالحصار الشديد الذي فرضه العثمانيون على القسطنطينية وعرضهم المساعدة بالجند والمال(2).

- مطالبة تيمورلنك للعثمانيين برد الإمارات الأناضولية لأصحابها الشرعيين، وتسليمه عدويه قرا يوسف التركماني، وأحمد بن أويس الجلائري حاكم بغداد اللذين كانا قد فرّا إلى حماية العثمانيين(3).

بدائع الزهور جـ1ق2ص592، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ1ص70- 71 ، ويذكر جون باتريك في كتابه القرون العثمانية ص81 أن قرا يوسف كان تحت حماية تيمورلنك، وليس هذا صحيحاً لأن العداوة المتصلة كانت قائمة بينهما.

(1) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ1ص71، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية جـ2ص522، وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر ص121.

(2) د. أمين حكيم السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص143، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ1ص71.

(3) إدوارد براون : تاريخ إيران من الفردوسي إلى السعدي جـ3ص231

وأبى السلطان العثماني الاستجابة لمطلب تيمورلنك، فبادر الأخير فأغار بجيوشه الجرارة على الأناضول، واستولى سنة ٨٠٣هـ/ سنة ١٤٠٠م على مدينة سيواس، وأسر حاكمها أرطغرل أكبر أبناء السلطان بايزيد، حيث أمر بقطع رأسه.(١).

واستشاط السلطان العثماني بايزيد غضبا لمصرع ابنه من جهة، وتخاذل رجاله في الدفاع عن مدينة سيواس المهمة(٢) من جهة ثانية، ولإقدام تيمورلنك على الاستيلاء على مدينة ملطية وبعض السواحل الجنوبية للبحر الأسود، وتركه هذه البلاد لحليفه رئيس قبائل الآق قويونلو من جهة ثالثة(٣).

ورفض بايزيد نصيحة العقلاء المخلصين الذين حذروه من تفوق خصمه الهائل عليه في العدد والعتاد، وأعلن بايزيد رفع الحصار عن مدينة القسطنطينية، وتوجه بجيشه لمحاربة تيمورلنك(٤).

وليم موير: تاريخ المماليك في مصر ص١٢١.

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٣٠، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥٠، ٥١، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٤.

(٢) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٤.

(٣) عباس اقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦٠٤

(٤) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٣٣، د.عبد الله جمال الدين : مرجع سابق ص١٢٠، د. أمين حكيم السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص١٤٣،

وأدى تسرع بايزيد إلى عدم تمكنه من اختيار المكـــان الملائم لنزول جيشه قبل المعركة، كذا لم يبال بايزيد باشتداد الحرارة في فصل الصيف، وقلة المياه المتاحة لجيشه،ولم ينتبه لخطورة عدم ولاء العناصر المختلفة التي كان يضمها جيشه، ومن هؤلاء التتر المغول والتركمان في جنوبي الأناضول(١).

وفي ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ/ يونية سنة ١٤٠٢م تحرك تيمورلنك بجيش جرار، وهزم العثمانيون هزيمة فادحة في وادي (جوبوق) في سهل أنقرة(٢)، وأسفرت هذه الهزيمـــة عـن نتائج خطيرة:

- وقوع بايزيد الأول في الأسر ومعه ابنه موسى، ثم وفاته في بلدة آق شهر بمرض ضيق التنفس والخناق في شـــعبان سنة ٨٠٥هـ/ سنة ١٤٠٣م(٣)، وهـــروب أولاد بايزيـــد: سـليمان

وهو يذكر أن جيش تيمور كان مكونا من سبعمائة ألف فارس وثلاثمائة ألف من المشاة، وهي أرقام لا تخلو من مبالغة.

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦٠٦، د:علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٤، د:على الصلابي: الدولة العثمانية ص٦٩، برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ص٦٢٤.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٨.أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٢، أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ ص٢٠، وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر ص١١٦.

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦٠٦، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥١، وانظر أيضا: عمر عبد العزيز: تاريخ

عيسى، محمد، وفقد ابن خامس له يدعى مصطفى[١].

- سقوط إمارات أزنيق، بروسة (عاصمة العثمانيين في الأناضول)، أزميد في أيدي تيمورلنك[٢] الذي رأى إعادتها إلى أصحابها من دون العثمانيين[٣]، وكذلك أعاد أيضا إمارات قسطموني، صاروخان، كرميان، آيدين، منتشا إلى أصحابها[٤].

- استقلال دول بلغاريا، صربيا، المورة، الأفلاق عن الدولة العثمانية.

المشرق العربي ص٤١، وهو يذكر أن بايزيد الأول انتحر، ويؤيد جون باتريك هذا الرأي ويضيف إليه احتمال أن يكون سبب الوفاة سكتة قلبية، انظر: القرون العثمانية ص٨٦.

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٧٦، وانظر أيضا: البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٨، وهو يذكر أن مصطفى قُتلَ في هذه المعركة.

(٢) وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر ص ١١٦، د. عمر عبد العزيز: تاريخ الشرق العربي ص٤١، د. حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص١٤٣.

(٣) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٨، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦٠٦، على حسون: تاريخ الدولة العباسية ص٣٤، يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١١٢.

(٤) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥١، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضاريةص٤٠٣.

- تأخر فتح القسطنطينية مدة خمسين عاما(١).

- إرسال ملوك انجلترا وفرنسا وقشتالة وإمبراطور القسطنطينية إلى تيمورلنك للتهنئة بالنصر على العثمانيين(٢).

العلاقة مع المماليك

اتسمت العلاقة بين السلطان العثماني بايزيد الأول(ت/٨٠١هـ)، والسلطان المملوكي برقوق سلطان المماليك في مصر والشام بكثير من الدفء، وتبادل الهدايا، وتمثل ذلك في استجابة برقوق لطلب بايزيد، وإرسال طبيب حاذق من لدنه ليقوم بالإشراف على معالجته(٣).

وقد حرص بايزيد الأول على كسب مؤازرة الخليفة العباسي المقيم بالقاهرة، فطلب منه أن يمنحه الشرعية في حروبه ضد النصارى في البلقان وغيرها من دول شرقي أوربا، فأرسل إليه الخليفة العباسي التشريف والخلعة ومنحه لقب سلطان المجاهدين(٤)

---

(١) د. عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربي ص٤٠.

(٢) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٠، د. أمين حكيم السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص١٤٤

(٣) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات م٩ جـ١ ص٢٤، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ق٢ جـ٢ ص٧٩٠، ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ١ص٢٠٠، خليل أدهم : تاريخ الدول الإسلامية جـ١ص١٦٠.

(٤) بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٥، د. أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص٢٠، د. أكمل الدين إحسان

وعند ظهور خطر تيمورلنك، وتهديده لممتلكات السلطان برقوق أرسل بايزيد الأول في رمضان سنة ٧٩٦هـ/ يوليه ١٦٩٤م إليه يعضده ويعرض عليه المساعدة العسكرية، فقابل برقوق هذا العرض بالشكر والامتنان(١).

غير أن هذه العلاقة الطيبة بين العثمانيين والمماليك لم يقدر لها أن تستمر طويلا في عهد السلطان المملوكي فرج بن برقوق (٨٠١: ٨١٤)هـ، إذ كان السلطان العثماني بايزيد قد استولى في بدء ولاية السلطان فرج على إمارة ملطية التي كانت تعد من أهم ممتلكات الدولة المملوكية في جنوبي الأناضول(٢).

وترتب على ذلك الموقف رفض كبار الأمراء المماليك في مصر طلب المساعدة الذي أرسله إليهم السلطان بايزيد الأول قبيل محاربته تيمورلنك، فقد تقاعسوا عن مناصرة بايزيد، وقالوا:

الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص١٨، د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص١٠٠.

(١) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات م١جـ١ص٣٨٦، ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ص٥١٧، الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٢٩٠، ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ق٢ص٤٧١، ابن سباط: صدق الأخبار جـ٢ص٧٥٠، د. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٨٦.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك جـ٣ق٢ص٩٧١ البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٦٦، د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ص١٩.

"المصلحة أن يدافع كل منا عن بلاده"(١).

وقد أتاح هذا الوضع السلبي من قبل أمراء السلـ لتيمورلنك أن يهزم العثمانيين والمماليك كل على حدة، حتى فرج بن برقوق سلطان المماليك في مصر (٨٠٦: ٨١٤هـ) أعلن خضوعه لتيمورلنك، وقبل أن يسك عملة دولته تيمورلنك.

أيا كان الأمر، فقد جاء سقوط السلطان العثماني بايزيد صدمة عنيفة للمسلمين عامة والعثمانيين خاصة في وقت الحرج.

---

(١) وانظر أيضا، تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ص١٤٩.

السلطان محمد جلبي(*) ٨١٦: ٨٢٤هـ/ ١٤١٣: ١٤٢١م

خضعت آسيا الصغرى [الأناضول] بكاملها لنفوذ تيمورلنك بعد انتصاره الساحق على السلطان العثماني بايزيد الأول عند أنقرة كما سبق القول في ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ/ يونية سنة ١٤٠٦م.

وكعادته مع أعدائه أغرق تيمورلنك الأناضول في بحار من النار والدم لكنه من ناحية أخرى وافق على إبقاء أبناء بايزيد الأربعة على قيد الحياة شريطة أن يعلنوا الخضوع له، وألا يدخلوا في صراعات فيما بينهم إلا بأمره(١).

وبالطبع لم يكن من السهل على العثمانيين أن يقبلوا ذلك بعد الانتصارات الباهرة التي حققوها في أوربا الشرقية من جهة وإحساسهم بكيانهم السياسي المستقل من جهة أخرى، لكنهم أمام قوة تيمورلنك وبطشه انتظروا رحيله عن بلادهم عائدا إلى عاصمته سمرقند، وهو ما لم يستغرق من الوقت أكثر من عام.

وما كان لأبناء بايزيد الأول بعد أن رحل تيمورلنك عن الأناضول أن يقبلوا الوضع الذي فرضه عليهم في أثناء وجوده في أراضيهم، لكنهم لم يتحدوا فيما بينهم وآثر كل منهم أن يعمل بمفرده، فجاء عملهم على النحو التالي:

(*) ولد محمد جلبي ابن السلطان بايزيد الأول سنة ٧٨١هـ، وكان يتمتع بصفات ذهنية وجسدية تؤهله لإنقاذ الدولة العثمانية من محنتها ، انظر عنه: آصاف : تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٤، ٤٥.

(١) روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٧٦.

- سليمان: وريث العرش، فضل أن يفر من بروسة العاصمة العثمانية في الأناضول ناقلا معه خزانة الدولة(١)، فعبر مضيق البسفور إلى أدرنة العاصمة العثمانية في الجانب الأوربي بمساعدة سفن أهل جنوة، حيث أعلن نفسه في أدرنة سلطانا للعثمانيين(٢)، رغم اعتراض إمارة البندقية التي كانت تريد الحفاظ على تحالفها مع تيمورلنك.

- محمد: أصغر الأبناء، واختار بعد أن فرّ شرقا من أنقرة متنقلا بين (أماسيا) و(توقات) في شرقي الأناضول بعد أن في استردادهما من أيدي رجال تيمورلنك(٣).

- عيسى: وقد اختار أن يقيم في بروسة، وأعلن نفسه من هناك سلطانا على العثمانيين، وخليفة آل عثمان كلهم(٤)، ...

---

(١) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٧٠، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٧٨، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥٠، ... أن سليمان تحالف مع أمانويل الثاني إمبراطور بيزنطة، وتنازل ... مدينة سلانيك في اليونان وبعض سواحل البحر الأسود ليضمن ... ضد إخوته الآخرين، بل إنه تزوج إحدى قريبات هذا الإمبراطور.

(٢) جون باتريك: القرون العثمانية ص٨٦، د.علي الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٠.

(٣) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٠، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥١.

(٤) د.علي الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٠، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥٢.

للعثمانيين سلطانان.

- موسى: وكان قد وقع في الأسر مع أبيه، ثم أطلقه تيمورلنك بعد وفاة أبيه بايزيد، فمضى مصاحبا جثمانه إلى بروسة، حيث دفنه هناك في مقابر الأسرة الحاكمة ، ثم أعلن فيما بعد انضمامه إلى أخيه محمد[1].

وقد توجب على محمد جلبي لكي يتمكن من استعادة كيان الدولة العثمانية السياسي والإداري من جديد أن يعتمد على القوة الكامنة فيها منذ بدأ السلاطين العثمانيون الأول: عثمان، أورخان، مراد، بايزيد عملهم الجاد في تأسيس هذا الكيان ثم تدعيمه وحمايته من الأخطار التي كانت تحدق به.

وقد حرص محمد جلبي في سبيل تحقيق ذلك الهدف الصعب إلى تحقيق أمور عدة مهمة منها:

أولا: الانفراد بالسلطنة العثمانية دون إخوته الثلاثة ، وقد عمل من أجل ذلك على النحو التالي:

أ. التخلص من أخيه عيسى الذي كان قد استولى على بروسة وأعلن نفسه سلطانا بها، وقد نجح محمد في هزيمة عيسى وطرده منها، ثم قتله، فأحكم بذلك سيطرته على الجزء الغربي من الأناضول[2].

ب. الاستفادة من الظروف السياسية المواتية التي تمثلت

---

(١) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٠.

(٢) جون باتريك: القرون العثمانية ص٨٨، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٠.

في قيام أخيه سليمان الذي كان قد أعلن نفسه سلطانا في أدرنة بمهاجمته بروسة ونجاحه في ذلك إلى حين، ثم ارتداده سريعا إلى أوربا حيث لقي هزيمته أمام أخيه موسى عند أسوار أدرنة سنة ٨١٣هـ/ سنة ١٤١٠ وانتهى الأمر إلى مقتله(١).

ج. نجاحه في هزيمة أخيه موسى بعد إعلانه التمرد على سلطة محمد ومحاولته أن يستقل بالجزء الأوربي من الدولة العثمانية، وأمعن في ذلك حتى إنه عمد إلى محاصرة القسطنطينية ليفتحها منفردا لنفسه، فتحالف محمد جلبي مع إمبراطور القسطنطينية وملك الصرب، وانتهى الأمر إلى وقوع أخيه موسى في أسره، حيث أمر محمد بقتله سنة٨١٦هـ/ سنة ١٤١٣م(٢).

ثانيا: المحافظة على وحدة الأناضول:

كانت الدولة العثمانية قد انقسمت قسمين عقب هزيمة أنـ
أولهما: يشمل معظم هضبة الأناضول ويمثل الجزء الشرقي مـ
هذه الدولة، وثانيهما: ويشمل الجزء الغربي الذي يضم (أد

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٥٢، وانظر أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٣، وهو يذكر أن قتل سليمان على أيدي الانكشارية.

(٢) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٣٥، د.أكمل إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٠، أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٤.

العاصمة الثانية أي الأوربية للدولة العثمانيـة، ومـا حولهـا مـن الأراضي الواسعة التي كانت تحيط بالقسطنطينية.

وقد أصبح الجزء الأول [هضبة الأناضول] مناط الاهتمـام لدى محمد جلبي الذي كان قد نجح بعد محاصرته مدينة أنقرة فـي هزيمة أتباع تيمورلنك من حكام الإمارات الأناضولية التـي كـان العثمانيون من قبل قد أخضعوها لسلطانهم وسعوا إلى إذابتها فـي الكيان العثماني التركي[1]، فلما انتصر تيمورلنك علـى السلطان العثماني بايزيد الأول - كما سبق القول - حاول إحيائها من جديد، وأعادها محمد جلبي إلى السيطرة العثمانية ثانية[2].

ولعل أصدق دليل على خطورة سياسة تيمورلنك السابقة هو قيام أمير ولاية قرمان بمحاصرة مدينة بروسة عاصمة العثمـانيين الشرقية، مستغلا انشغالهم بالصراع الداخلي على السلطة بين أبناء بايزيد الأول، فحق لمحمد جلبي بعد ذلك أن يعاقبه على ما قـدمت يداه، لكنه فضل أن يعفو عنه[3]

واستفاد السلطان محمد جلبي كثيرا من قدوم هجرات تركية

---

(١) جون باتريك: القرون العثمانية ص ٨٨، بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩١.

(٢) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٥، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٣.

(٣) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص٥٥، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٣، بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٥.

جديدة من أقصى الشرق للإقامة في الأناضول، والانـضواء إلى إخوانهم وبني جلدتهم من الأتراك العثمانيين، فوجد محمد جلبي في ذلك تدعيما لدولته، وتثبيتا لسلطانه.

وظهرت براعة محمد جلبي أيضا في عدم إثارة شاه رخ بن تيمورلنك الذي خلف أباه، وشغل بأعباء مملكته الواسعة في آسيا الوسطى وإيران(١)، وفي منازعة سلاطين دولة المماليك في مصر والشام حول بسط النفوذ على الأراضي المقدسـة وبخاصـة في مراسم الحج(٢).

ولقد بلغ من حرص جلبي على رفع شأن العثمـانيين لدى عامة المسلمين في المشرق الإسلامي في أنه قد أرسل صرة من الذهب إلى شريف مكة المكرمة لتوزيعها هناك على الفقـراء في مكة والمدينة وكان قد حبس أوقافا كثيرة على الحرمين الشريفين(٣).

ثالثا: العلاقات مع أوربا:

أدى الانقسام السياسي والمذهبي الذي ساد أوربا الشرقية إلى

---

(١) انظر عن تفاصيل حياة شاه رخ بن تيمورلنك: عباس إقبال في كتابه تاريخ إيران بعد الإسلام ص٦١٤، ٦١٥، دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص٧٨، ٧٩، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٤.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ٢ ص١٢٠، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١١٥.

(٣) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٧٧، آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٤، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٧.

عجزها عن التوحد في مواجهة العثمانيين، ولقد بلغ من شدة هذا الانقسام أن أحدا من ملوك أوربا الشرقية لم يستفد من الهزيمة الساحقة التي حلت بالسلطان العثماني بايزيد، وعلى هذا فقد بقي الجزء الأوربي من الدولة العثمانية سليما[1].

ولم يشأ محمد جلبي بعد استقرار أمور الدولة العثمانية له أن يدخل في صراع جديد مع شرقي أوربا، بل إنه سعى إلى تهدئة الأوضاع إلى أكبر قدر ممكن ومن ذلك:

- مسالمته إمبراطور بيزنطة، وإعادة بعض المدن الواقعة على شاطئ البحر الأسود إليه[2].
- إجراؤه الصلح مع إمارة البندقية في شمالي إيطاليا بعد هزيمة أسطوله البحري أمام أساطيلها عند (غاليبولي) سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٦م[3].

هكذا نجح هذا السلطان العثماني القدير في إعادة وحدة الدولة العثمانية إلى سابق عهدها، وعوضها عن الهزيمة الثقيلة عند

---

(١) د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٣.

(٢) د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص٥، أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٤.

(٣) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٥، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٣٥، د.علي الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٣.

انقرة، وهيأها للقيام بدورها في أوربا من جديد[1].

وقد بذل محمد جهودا كبيرة في تدعيم المنشآت العا... ذلك ترميم أسوار المدن وبناء المساجد ولاسيما مسجده المعروف باسم المسجد الأخضر في بروسة[2].

ووافت المنية السلطان محمد جلبي في أدرنة سنة ٨٢٤هـ/ سنة ١٤٢١م، بعد نوبة قلبية ومعاناة مرضية بدأت منذ سنة ٨١٩هـ[3]، وكان في الثالثة والأربعين من عمره[4].

---

(١) بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص١٩٥، د. ع... عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٢.

(٢) د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص٥٤.

(٣) د.عبد الله جمال الدين : من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر ال... ص١١٨، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٨٨، وانظر أيضا: البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٧٦، أصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان ص٤٤ ، فهو يذكر أن وفاته كانت بمرض الإسهال الدموي.

(٤) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١١٩،د. على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٨.

مراد الثاني(*) ٨٢٤: ٨٥٥هـ/ ١٤٢١: ١٢٥١م

جلس مراد الثاني على كرسي الملك العثماني عام ٨٢٤هـ بعد وفاة أبيه الراحل محمد جلبي، وكان مراد آنذاك في الثامنة عشرة من عمره(١).

وأمر السلطان الشاب بنقل جثمان والده إلى بروسة ليتم دفنه مع العائلة الملكية هناك إلى جوار السلطان بايزيد الأول ومن سبقه من السلاطين العثمانيين.

وافتتح السلطان أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمان والاتفاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لمواجهة بعض حركات العصيان التي ظهرت في الأناضول(٢)، مستغلة صغر سن السلطان مراد الثاني الذي تمكن في سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م من استعادة حكم الدولة العثمانية لولايات أيدين وصاروخان وحميد ومُنتشا، وكان أمراؤها من قبل خاضعين للدولة العثمانية لكنهم شقوا عصا الطاعة عليهم في أثناء تسلط الأمير

(*) ولد مراد الثاني ابن السلطان محمد جلبي سنة ٨٠٦هـ/ سنة ١٤٠٣هـ، انظر عن صفاته :آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٨، أورخان محمد: روائع من التاريخ العثماني ص٢٨.

(١) د. روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١٨٩، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٧٩، يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٢٠،.

(٢) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٥.

تيمورلنك[1] على الأناضول.

إمبراطور بيزنطة

شكلت العلاقات مع الدولة البيزنطية عبئا جديدا على العثمانيين، فقد طلب الإمبراطور البيزنطي إيمانويل من السلطان مراد الثاني الاستمرار في معاهدة الصلح التي أبرمت مع أبيه الراحل، وأن يتعهد بعدم محاربة البيزنطيين مطلقا وأن يسلمه اثنين من إخوته تأمينا على نفاذ هذا التعهد، وتهدده بإطلاق سراح عمه مصطفى بن بايزيد الأول من سجنه بالقسطنطينية، فلم يلق ما طلبه الإمبراطور قبولا لدى السلطان مراد الثاني[2].

وبالفعل خرج مصطفى من سجنه وتمكن بمساعدة حربية من الإمبراطور البيزنطي من الاستيلاء على مدينة غاليبولي من قلعتها، وتوجه عقب ذلك إلى مدينة (أدرنة) العاصمة، حيث تمكن من قتل وزير السلطان مراد الثاني، لكن جنوده وبعض قواده خذلوه حين وقعت المواجهة مع جيش السلطان نفسه، وانتهى الأمر إلى إعدامه شنقا[3].

---

(1) البدليسي: شرفنامه جـ2ص80، عبد المؤمن أكرم: أضواء على تاريخ توران ص171.

(2) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص46، 47، نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص30.

(3) جون باتريك: القرون العثمانية ص91. محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص54، 55، د. على الصلابي: الدولة العثمانية ص79.

وتوجه جيش عثماني كبير لمحاصرة القسطنطينية في رمضان سنة ٨٢٥هـ/ أغسطس١٤٢٢م، حيث جرى الهجوم على أسوارها المنيعة عدة مرات حتى أوشكت على السقوط في أيدي العثمانيين، فبادر الإمبراطور إيمانويل إلى اتباع سياسة تشتيت انتباه السلطان، ونجح بالفعل في التحريض على ثورة هددت ممتلكات العثمانيين في الأناضول[1]، فاضطر السلطان مراد الثاني إلى رفع الحصار عن القسطنطينية والتوجه إلى الثائرين حيث تمكن من القضاء عليهم[2].

واستفاد مراد من أحداث ذلك العصيان ، فأعاد السيطرة العثمانية على الأناضول من جديد، فقد تنازل أمير قسطموني الواقعة على الساحل الجنوبي للبحر الأسود عن نصف أملاكه للسلطان وزوّجه من ابنته سنة ٨٢٦هـ/ سنة ١٤٢٣م، وانهزم قرة جنيد حاكم أزمير السابق حيث قُتل خنقا، وعادت ولايات أيدين وصاروخان ومنتشا وغيرها من الإمارات إلى النفوذ العثماني[3].

ولم يغفل السلطان مراد الثاني العثماني تدعيم العلاقات مع سلاطين المماليك البرجية في مصر، ولذلك أرسل في السادس عشر من رمضان سنة ٨٢٩هـ/ الثاني عشر من يوليه سنة

---

(١) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص٣١.

(٢) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٧.

(٣) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢١ .محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص٥٥، أورخان على محمد: روائع من التاريخ العثماني ص٢٨.

١٤٢٦م سفارة إلى الديوان المملوكي في مصر تحمل هداياه إلى السلطان المملوكي برسباي وصحبتها من التقدمة تسعة مماليك ومن القماش عدة أحمال ما بين سنجاب وسمور وحرير[١].

وحين تمكن السلطان برسباي من الاستيلاء علـى جزيرة قبرص نهائيا في نفس السنة ، وأقيمت الزينات في مصر كلها احتفالاً بذلك النصر ، شاركت هذه السفارة العثمانيـة فـي أفراح القاهرة بمشاهدة ملك قبرص الأسير جانوس الأول وهو يمشي في شوارع القاهرة حاسر الرأس مكبلا بالقيود[٢].

أوربـــا

خاض العثمانيون بقيادة مراد الثاني حروبا ضروسـا ضـد ملوك شرقي أوربا، وعلى رأسهم ملك المجر الذي اضطر كرهـا إلى التخلي عن أملاكه على نهر الدانوب، وملك الصرب الذي بادر إلى دفع جزية كبيرة وقدم جنودا ليكونوا تحـت إمـرة السلطان العثماني عند الطلب[٣]، وعرض أن يزوج السلطان بابنته (مـارا) وأن يقطع علاقاته مع ملك المجر.

وفي سنة ٨٣٣هـ/ سنة ١٤٣٠م أعاد السلطان مراد الثاني

---

(١) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ٤ص٣٢٤..

(٢) وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر ص١٣٥، د. أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصرص١٢٩.

(٣) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٠١، جون باتريك القرون العثمانية ص٩٢، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٥

فتح مدينة (سلانيك) في شمالي اليونان بعد حصار خمسة عشر يوما، وكان الإمبراطور البيزنطي قد تنازل عنها من قبل للبنادقة، وقبل السلطان مراد أن يأخذ الجزية عنها من البنادقة كسبا للوقت، وحتى تتهيأ الفرصة المناسبة لاستردادها[1]، فلما واتت الفرصة لم يتردد العثمانيون في اغتنامها، وفتح ذلك الباب أمام العثمانيين كي يدخلوا ألبانيا - إلى حين - تحت الطاعة لهم سنة ٨٣٤هـ/ سنة ١٤٣١م[2].

وحين تحالف ملكا المجر والصرب من جديد سار إليهما جيش السلطان مراد وقهرهما سنة ٨٤٢هـ/ سنة ١٤٣٨م، وعاد جيشه مظفرا ومصطحبا سبعين ألفا من الأسرى كما تقول بعض الروايات[3]، ولا يخلو هذا الرقم الضخم من المبالغة لكنه يعكس من جهة أخرى حجم الانتصار العثماني على الأوربيين.

وأصيبت الجيوش العثمانية - بعد ذلك - ببعض الانتكاسات الخطيرة أمام جيوش المجر وحلفائها، فانتهى الأمر بإبرام الصلح بين الطرفين، وعقد هدنة عشر سنوات تبدأ من سنة ٨٤٨هـ/

---

(١) د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق والعربي ص٥٥، أورخان محمد: روائع من التاريخ العثماني ص٣٠، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٢.

(٢) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٢.

(٣) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٨٠، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٠٤.

سنة ١٤٤٤م(١).

وعقب ذلك توفي أكبر أولاد السلطان وهو الأمير علاء الدين، فحزن عليه والده حزنا شديدا، دفعه إلى أن اعتزل الحكم وتوجه إلى ولاية أيدين في الأناضول، وتنازل عن العرش لابنه محمد البالغ من العمر أربعة عشر عاما(٢)، وهي سن صغيرة أطمعت فيه الأعداء، وأزرت به بين الأصدقاء.

ولم يمكث السلطان مراد الثاني في هذا الوضع سوى بضعة أشهر اضطر بعدها للعودة إلى الحكم، فقد نكث ملك المجر الهدنة وشرع في مهاجمة مدينة فارنة الواقعة على البحر الأسود(٣)، وخاض مراد معارك مريرة تمكن خلالها من قهر الجيوش الصليبية في رجب سنة٨٤٨هـ/ نوفمبر ١٤٤٤م(٤)، وقتل ملك المجر في

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٣٨، جون باتريك: القرون العثمانية ص٩٤.

(٢) جون باتريك: القرون العثمانية ص٩٤.أصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان ص٤٨، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٦.

(٣) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٦، د.محمد أنيس: الدولة العثمانية في الشرق الإسلامي ص٥٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٠٧.

(٤) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٣٩، د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٢، ستانلي لين بول: تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ص٤٤٣.

هذه المعركة وحمل أحد الجند العثمانيين رأسه على رمح[1]، ولما اطمأن السلطان مراد الثاني إلى استقرار الأوضاع عاد إلى عزلته السابقة.

ويبدو أن إحساس مراد بمدى صغر سن ولي عهده قد دفعه في التفكير إلى الاستناد على قوة كبيرة تحميه وعلى هذا أرسل إلى السلطان المملوكي جقمق في سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م رسالة يخبره بالأمر ويطلب منه أن يكون ابنه محمد تحت رعايته[2]، وتضمنت الرسالة هدية من محمد نفسه كانت عبارة عن أوان رائعة من الفضة، وثياب مخملية وثياب مذهبة وفي جملة التقدمة جوار بيض روميات : عدة خمسة[3].

ولم يلبث مراد الثاني أن خرج مرة ثانية من عزلته التي كان قد عاد إليها بعد أن علم بتمرد فرق الانكشارية على ابنه محمد وازدرائها عليه لصغر سنه، ونجح مراد في إخماد فتنتهم، وزج بهم في الإغارة على شبه جزيرة المورة في بلاد اليونان[4]، وعادت القسطنطينية بذلك للوقوع تحت التهديد العثماني المباشر.

---

(١) أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٨، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٨٢، جون باتريك: القرون العثمانية ص ٩٨.

(٢) ابن تغري بردي: وقائع الدهور في مدى الأيام والشهور جـ١ص١٢٣، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥٧.

(٣) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ٤ص٣٢٤.

(٤) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ٨٧، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٦، جون باتريك: القرون العثمانية ص٩٩.

ونجح السلطان مراد ببراعة في إعادة إخضاع الصرب والبوسنة، وأثبت تكرار الفشل الأوربي في إيقاف التوغل العثماني في أوربا، بعد أن أوقع هزيمة نهائية بجيوش المجر في موقعة قوصوه سنة ٨٥٢هـ/ سنة ١٤٤٨م[١].

وقد توفي السلطان مراد الثاني في أدرنة في الخامس من المحرم سنة ٨٥٥هـ/ ٩ فبراير سنة ١٤٥١م، عن عمر يناهز التاسعة والأربعين، ونقل جثمانه إلى بروسة[٢]، وبعد أن حكم الدولة العثمانية مدة تزيد على الثلاثين عاما، تعتبر بحق مرحلة استكمال تأسيس جديد لهذه الدولة، وتدعيما لجهود والده الراحل محمد جلبي[٣].

وكان السلطان مراد الثاني قد قام ببناء عدة جوامع ومدارس وقصور وقناطر منها جامع أدرنة ذو الشرف الثلاثة، وبنى بجانب هذا الجامع مدرسة، وتكية يطعم فيها الفقراء والمساكين[٤].

---

(١) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٣٤، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٣.

(٢) د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والمشرق العربي ص٥٦، د.أكمل الدين إحسان: تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٢، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٠٨.

(٣) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٢٧، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٠١.

(٤) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص٨٤.

وفي الجانب العسكري وفي نفس الوقت نظمت عملية تجنيد العبيد المسيحيين من البلقان لخدمة السلطان عن طريق الجمع المنظم للشبان من الشعوب السلافية، وعرفت هذه العملية باسم " الدفشرمة" devshirme ومعناها في التركية الجمع أو ضريبة الغلمان[1]. وقد أدى ذلك إلى تدعيم الكيان العسكري للدولة العثمانية مما زاد في هيبتها وثبت من كيانها في مواجهة القوى الأوربية وبخاصة في شرقي أوربا.

---

(١) د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٢.

محمد الفاتح(*) ٨٥٥ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ ـ ١٤٨١م

تولى محمد الفاتح عقب وفاة أبيه السلطان مراد الثاني وكان آنذاك في الثانية والعشرين من العمر[١]، لكنه كان قد اكتسب خبرة لا بأس بها في التعامل مع الخصوم من جهة والانكشارية من جهة أخرى[٢].

وما أن اعتلى السلطان محمد الفاتح العرش حتى بدأ في العمل لتحقيق الهدف الذي سعى أجداده من أجل تحقيقه وهو فتح القسطنطينية ذات الموقع الجغرافي الممتاز، ولتأمين سلامة المواصلات بين أملاك العثمانيين في آسيا وأوروبا[٣]، فبادر بأن استهل عهده بعقد اتفاقية سلام مع الإمبراطور قسطنطين الحادي

(*) ولد محمد الفاتح في مدينة أدرنة سنة ٨٣٣هـ/ سنة ١٤٣٠م، انظر: آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٤٩، أورخان محمد: روائع التاريخ العثماني ص٣٥.

(١) د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٣.

(٢) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١١٥، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٠١، عبد المؤمن أكرم : أضواء على تاريخ تركيا ص١٧٢.

(٣) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣١، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٠١.

عشر تعهد فيها بعدم الاعتداء على القسطنطينية[1].

وفي خطوة ثانية عقد محمد الفاتح اتفاقيات بنفس المعنى مع سفراء بلغاريا والمجر والصرب، والمدن الإيطالية [البندقية، جنوة، راجوزة]، ثم توجه بعد ذلك للأناضول بهدف القضاء على بعض الثورات التي نشبت هناك ضد الدولة العثمانية[2].

ولما اطمأن السلطان محمد الفاتح إلى استتباب الأمور شرع في إنجاز استعداداته العسكرية بتشييد قلعة "الروملي" عند أضيق نقطة على الضفة الغربية لمضيق البوسفور على مسافة ستة أميال من أبواب القسطنطينية باتجاه البحر الأسود[3]، في مقابل قلعة عثمانية أخرى تدعى "أناضولي حصار"، وأتاح ذلك للعثمانيين فرض سيطرتهم على مضيق البوسفور، وبالتالي على كافة السفن التي تمر به، وألزموها بأداء الضرائب، وهكذا جاء بناء قلعة (روملي حصار) مساهمة كبيرة في إحكام الحصار العثماني البحري على القسطنطينية[4].

وقد بدأ الحصار العثماني للمدينة في ٨ ربيع الآخر

---

(١) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص٣٣.

(٢) المرجع السابق ص٣٤.

(٣) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١١٧.

(٤) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص٨٢، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٠٧.

سنة ٨٥٧هـ/ ١٨إبريل سنة ١٤٥٣م من جهة البر بجيش بلغ ... وخمسين ألف جندي، ومن جهة البحر بأسطول مؤلف من ... وثمانين سفينة، وسرعان ما أقيمت حول المدينة أربع عشرة بطارية مدفع ضخم، كان بوسع أكبرها أن يقذف كرات من الحجر زنة الواحدة اثنا عشر قنطارًا على مسافة ميل(١).

وكان المخترع المجري أوربان قد عرض فكرة هذا المدفع على أغلب ملوك أوربا فلم يلتفت إليه أحد بما في ذلك إمبراطور القسطنطينية نفسه إذ كان شحيحًا بالمال، فلما عرض أوربان فكرة هذا المدفع وغيره من المدافع الضخمة على السلطان محمد الفاتح وافق على الفور، وقد بلغ من قوة هذا المدفع أنهم نقلوه من أدرنة إلى القسطنطينية في شهرين، وكان دوي انفجاره يسمع على بعد ثلاثة عشر ميلا(٢).

ويصف المؤرخ البندقي المعاصر هذا المدفع الضخم فيقول وبدأ الأتراك منذ شهر فبراير ١٤٥٢م في إرسال مدفعهم باتجاه القسطنطينية برفقة عشرة آلاف رجل(٣).

وكان الإمبراطور البيزنطي يشعر باقتراب الفتح الإسلامي لمدينة القسطنطينية، فقام بعدة محاولات لتلافي الخطر الداهم ومنها

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦١.

(٢) د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٠٨.

(٣) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص٨٥.

محاولة الزواج من أم السلطان محمد الفاتح المسيحية الأرثوذكسية، وكانت آنذاك تناهز الخمسين من عمرها، بيد أنها رفضت وظلت معتزلة الناس قابعة في أحد الأديرة، ثم حاول الإمبراطور الزواج من غيرها من أميرات الدول الأوروبية الأخرى، لعلها تنصره فلم يفلح في ذلك[١].

وفي خطوة استفزازية تعدى بعض الجنود العثمانيين على قرية تابعة للقسطنطينية، فخرج أهل هذه القرية إليهم، وقتلوا بعضهم، فكان ذلك ذريعة للسلطان محمد ليعلن الحرب على الإمبراطور البيزنطي[٢].

وحين أرسل الإمبراطور البيزنطي سفراءه إلى السلطان العثماني بهدف التخفيف من التوتر بين الطرفين والاحتجاج على ما يقوم به العثمانيون من استحكامات واستفزازات، أمر بهم السلطان محمد فقطعت رؤوسهم، فكان ذلك تأكيدا على إعلان الحرب السابق[٣].

واضطر الإمبراطور البيزنطي أخيرا إلى طلب الإمداد من دول غربي أوربا والبابا في روما، ووعدهم مكافأة لذلك أن تنضم الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية إلى كنيستهم الكاثوليكية، فأرسل

---

(١) د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٣.

(٢) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٥٩.

(٣) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص٨٣، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٤٩، ٥٠.

البابا وملوك أوربيون آخرون عددا كبيرا من الجنود لينضموا إلى عساكره في ساحات القتال[1]، غير أن الأهالي في القسطنطينية استاؤوا كثيرا من جراء ذلك، وردد بعضهم أنه يفضل أن يرى تاج السلطان محمد في القسطنطينية على أن يرى قلنسوة كردينال كاثوليكي بها، وقد عمد كثير من الأهالي إلى مغادرة المدينة حتى لم يبق فيها من يدافع عنها إلا جنود الفرنج[2].

وبدأ الهجوم العثماني التدريجي على المدينة برا وبحرا، واستمر إلى العشرين من جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ/ نهاية شهر مايو ١٤٥٣م[3]، ويذكر المؤرخ البندقي المعاصر نيقولو باربارو أن الأتراك العثمانيين قاموا بحمل الأسرى إلى سفنهم بالإضافة إلى كميات لا حصر لها من الغنائم والأسلاب، وكان أحدهم إذا ما توجه إلى أحد المنازل بالقسطنطينية قام بسرعة برفع علم فوقه، أو أية علامة أو ورمز تدل عليه، وهكذا ظهرت أعلامهم في كل مكان بالمدينة حتى الأديرة والكنائس[4].

---

(١) د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٣٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص١١٠.

(٢) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٥٠، بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٣٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٤٥.

(٣) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص٩٧، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٢٣.

(٤) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ص١٧٦، ١٧٧، وانظر أيضا: د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده

وبالطبع أدى مصرع الإمبراطور البيزنطي في القتال الذي دار في الشوارع[١] إلى انهيار الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة، فصارت فريسة سهلة في أيدي الجنود العثمانيين المتحفزين.

وأخيرا دخل السلطان العثماني محمد الفاتح المدينة عند الظهر فوجد الجنود الأتراك يقومون بالسلب والنهب وغيره، فأصدر أوامره بمنع ذلك كله، فساد الأمن حالا، ثم زار كنيسة أياصوفيا، وأمر بأن يؤذن فيها بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين[٢].

وأعطى السلطان محمد للمسيحيين في المدينة حرية إقامة الشعائر الدينية، واختيار رؤسائهم الدينيين الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى نفس الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى، ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع[٣].

وابتهاجا بالفتح أرسل السلطان محمد الفاتح بالبشارة إلى

الحضارية ص٤٠٤.

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٤٢، أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٥١، جون باتريك: القرون العثمانية ص١١٦.

(٢) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦١، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٤، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٣.

(٣) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص١١١، بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٤٢، د.أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٩٣.

السلطان المملوكي الأشرف إينال، وإلى شريف مكة، وإلى شاه العجم[1]، فأعربوا عن سعادتهم بهذا النبأ العظيم.

وكان جند السلطان قد اكتشفوا قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي كان مدفونا خارج أسوار القسطنطينية، بعد أن شارك في الغزوة التي خاضها المسلمون ضد هذه الأسوار في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان(ت/٦٠هـ). فشرع السلطان محمد الفاتح في بناء جامع في هذا الموضع جعله تحت إشراف الشيخ أيوب شمس الدين، ولما أتم بناءه أقام فيه الصلاة فقلده شيخ الإسلام سيفا بيده[2].

ومن ذلك الوقت جرت العادة على أن السلطان العثماني الذي يجلس على العرش العثماني يذهب إلى ذلك الجامع، ويتقلد السلطة بالسيف، وكان في ذلك الجامع صخرة كبيرة فوقها بيرق ملفوف بغشاء أخضر رمزا عن وظيفة أبي أيوب الأنصاري ومكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

---

(١) آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان ص٥١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص٧١، وهو يذكر أن الرسول العثماني قدم إلى القاهرة ومعه هدية كبيرة وأسيران من كبار أهل القسطنطينية سار بهم في شوارع القاهرة التي كانت مزدانة لمقدمه".

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ١١٠، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٣٢، عبد المؤمن أكرم : أضواء على تاريخ توران ص١٧٢.

(٣) آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٥١، بروكلمان: الترك العثمانيون وحضارتهم ص٤٦.

وقد أدى سقوط القسطنطينية إلى انتشار موجة من الرعب واليأس في أوربا، فقد أصبح بقاء المناطق الأوربية التي فتحها العثمانيون أمرا مضمونا بعد أن سقطت القسطنطينية التي كانت بمثابة القاعدة الاستراتيجية التي كان يمكن استخدامها ضد العثمانيين فتحولت إلى عاصمة جديدة لهم[1].

ولم تكن القسطنطينية هي الفتح الوحيد في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح، ففي ناحية الغرب بدأ النزاع بين الدولة العثمانية وإمارة البندقية التي أفزعها ما وصل إليه نفوذ العثمانيين في البلقان، وما قد يترتب على ذلك من ضياع امتيازاتها التجارية في هذا الجزء من أوربا[2].

وكان مجال الاحتكاك بين الطرفين في شبه جزيرة المورة اليونانية وفي جزيرة رودس ، غير أن البنادقة لجأوا إلى مهادنة السلطان محمد بأن عقدوا معه في سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م اتفاقية تعهد فيها السلطان العثماني بحماية مصالحهم وامتيازاتهم التجارية في البلقان، ولكن فتوحات السلطان في شبه جزيرة المورة التي استسلمت وأدت الجزية ٨٦٢هـ/سنة ١٤٥٨م وسقوط أثينا في قبضة العثمانيين سنة٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م[3] أثار البنادقة ، ودفعهم

---

(١) بول كولز: العثمانيون في أوربا ص٣٤، د. حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص١٩.

(٢) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٣٥.

(٣) د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص٥٨، د.أحمد شلبي :

إلى إعلان النزاع السافر مع العثمانيين، غير أن اجتياح العثمانيين لسواحل شبه جزيرة القرم أجبر البنادقة على قبول الصلح سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٦م[1].

واستفاد السلطان محمد الفاتح من الخلاف الديني بين المجر الذين كانوا كاثوليكيين تابعين للبابا في روما، والصرب الذين كانوا أرثوذكسيين لا يذعنون لسلطة البابا، ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له ثمانين ألف دوكا، في تلك سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٤م، غير أن السلطان عاود مهاجمة الصرب سنة٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م، واستولى على عاصمتهم بلغراد الواقعة على نهر الدانوب[2].

وفي سنة٨٦٥هـ/ ١٤٦١م هاجم السلطان مدينة بوخارست بمائة وخمسين ألف مقاتل فهرب أميرها، فعزله السلطان وعين مكانه أخا له يدعى راؤول الذي كان قد تربى في حضانة السلطان منذ نعومة أظافره[3].

وفي سنة ١٤٦٢م حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج فأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده، وأسر

موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ص٤٩٤.

(١) د.علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص٤١.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ٩٧، آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٥١، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٣٢.

(٣) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٣.

سلطنها، كانت له جميع بلاد البشناق (أهالي البوسنة)[١]، وقد دخل في جيش الانكشارية ثلاثون ألفا من شبانها، وأسلم أغلب أشراف أهلها[٢].

كذلك توجه الأسطول العثماني إلى شبه جزيرة القرم وتمكن الجيش العثماني من الاستيلاء عليها بعد حصار قصير، ولم يبد المغول النازلون بها أية مقاومة، فاكتفى السلطان بفرض الجزية على أهل الجزيرة[٣].

واضطر البنادقة تحت الضغط العسكري أن يبرموا صلحا جديدا مع السلطان وأن يتنازلوا عن مدينة (أشقودرة) في مقابل بعض امتيازات تجارية، تم الصلح بين الفريقين على ذلك[٤]، وأمضيت بينهما معاهدة بموجبه في ذي القعدة سنة ٨٨٣هـ/ يناير سنة١٤٧٩م، وقد مكن ذلك للعثمانيين أن يتدخلوا في شئون أوربا بشكل سافر، إذ كانت البندقية آنذاك أهم دول أوربا لاسيما في التجارة البحرية، وما كان يعادلها في ذلك إلا جنوة التي كان لها بعض الأملاك في شبه جزيرة القرم[٥].

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٣٦- ١٣٧.

(٢) محمد فريد: مرجع سابق ص٦٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٣٨.

(٣) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٤٣.

(٤) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٥.

(٥) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٦، برتولد شبولر: العالم

وتعرض جنوب إيطاليا للهجوم التركي، فقد تحرك الأسطول العثماني إلى مدينة أوترانت واستولى عليها عنوة في جمادى الثانية سنة ٨٨٥هـ/ أغسطس سنة ١٤٨٠م، ويقال إن السلطان محمد الفاتح كان قد أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا لكن الأجل لم يسعفه(١).

الحروب في الأناضول

لم ينشغل السلطان محمد عن الأناضول، ولهذا توجه إليها عقب فراغه من أمر القسطنطينية وأخضع أمير مدينة (سينوب) سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م ثم قصد بنفسه مدينة طرابزون، ودخلها بدون مقاومة شديدة، وقبض على الملك وأولاده وزوجته وأرسلهم إلى القسطنطينية(٢).

وكانت إمارة قرمان تعاني من الانقسام الداخلي، فتوجه إليها جيش السلطان وكان أميرها إبراهيم قد أوصى بالحكم بعد موته إلى ابنه الأمير إسحق، فنازعه إخوته من أبيه في الحكم لأن أمه كانت

الإسلامي في العصر المغولي ص١٣٧.

(١) د. علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٤١، د. عبد الله جمال الدين: مرجع سابق ص١٢١، د. أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٦.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص١٠١، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٤٩، د. محمد هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص٢٠، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ص٤٤٣.

دولة، فتدخل جيش السلطان في ذلك الصراع، وحارب إسحق وهزمه أكثر من مرة، وولى محله أكبر إخوته[1]، ثم تمكنت سيطرة الدولة العثمانية على هذه الإمارة بتعيين الأمير مصطفى باشا بن السلطان محمد حاكما على هذه الإمارة[2].

ومن المشاكل التي واجهت السلطان محمد أيضا الزحف الذي قام به الأمير أوزون حسن الطويل أمير إمارة آق قويونلو (الشياه البيضاء)، الذي أعمل السلب والنهب حول مدينتي (توقات) و(أماسيا) في شرقي الأناضول، فأخذ السلطان في تجهيز جيش جرار تمكن من هزيمة جيش أوزون حسن سنة ٨٦٦هـ/ سنة ١٤٦١م، على حدود إقليم حميد شر هزيمة[3]، ثم بالقرب من أذربيجان مرة أخرى، فلم يعد أوزون حسن لمحاربة الدولة العثمانية بعد ذلك[4].

وكانت العلاقات مع دولة المماليك البرجية قد تسممت تسمما

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٤، ٦٥، برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ص١٣٧.

(٢) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٤٠.

(٣) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٣٤.

(٤) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٢٧، د.محمد هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص٣٦، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٤.

حلا من جراء التنافس على النفوذ في إمارة (آل ذو القادر) الواقعة على الحدود بين المماليك والعثمانيين غير أن السلطان محمد كان قد تمكن في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م من خلع أميرها المشمول بالحماية المصرية وتنصيب أمير آخر مشمول بحمايته الخاصة[١].

وهكذا اتضح أن مهمة السلطان محمد الفاتح الثاني كانت تتركز في صنع دولة إسلامية جديدة ليس فقط عن طريق استقرار البلاد المفتوحة أو توسيعها ولكن من خلال إقامة نظم جديدة في مؤسساتها وإداراتها واقتصادها وأوضاعها الاجتماعية[٢].

وقد توفي محمد الفاتح عن عمر يناهز الثالثة والخمسين عاما، وكان ذلك سنة٨٨٦هـ/ سنة١٤٨١م بعد أن استمر في الحكم واحدا وثلاثين عاما، وخلفه ابنه بايزيد الثاني[٣].

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٤٧.

(٢) جون باتريك: القرون العثمانية ص ١٥٥، ١٧٣.

(٣) أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٥٢، د. علي حسون: [illegible] العثمانية ص٤١، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٤٧.

بايزيد الثاني (*) ٨٨٦هـ : ٩١٨هـ / ١٤٨١ : ١٥١٢م

بينما كان السلطان محمد الفاتح يستعد لغزو جزيرة قبرص اعتراه مرض عضال فمات في مدينة (ازنكميد)، فدفنه كبار رجالات الدولة بجوار جامعه في ضريح مخصوص له[١] بمدينة القسطنطينية.

وكان السلطان حين وفاته قد ترك ولدين أكبرهما (بايزيد) الذى كان يحكم إقليم أماسيا في شرقى الأناضول ، وثانيهما (جُم) الذى كان يحكم قونية فى وسط الأناضول [٢] وتمكن بايزيد - بعد استرضاء الإنكشارية ، والتغاضي عن بعض أخطائهم ، ومنها قتل الوزير ونهب المدينة -من الوصول الى سدة الحكم فى ربيع الأول سنة ٨٨٦هـ / مايو ١٤٨١م [٣].

وسرعان ما دب الصراع بين الأخوين ، فقد سار (جم) على الفور الى مدينة بروسة ، فدخلها عنوة بعد أن هزم ألفى

(*) ولد بايزيد الثانى سنة ٨٥١هـ وقد اشتهر بدماثة الخلق والميل الى السلم والانصراف الى العلم والعلماء حتي لقب بالصوفي .

(١) آصاف : تاريخ سلاطين بنى عثمان ص٢٢ ، ويذكر بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٥٤ ، أن السلطان محمداً قد توفي وهو يهاجم جزيرة رودس للمرة الثانية

(٢) بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص ٥٦ ، د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج١ ص٢٨.

(٣) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٨، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٥٢.

انكشارى من المدافعين عنها ، ثم أرسل الى أخيه يعرض على الصلح بشرط تقسيم المملكة بينهما ، أى أن يكون الجزء الشرقى (الأناضول) من نصيب (جم) ، ويكون الجزء الغربي (الأوروبي) من نصيب بايزيد الثاني(١).

ولما لم يقبل بايزيد هذا التقسيم، فقد دارت رحى الحرب بين الطرفين ، وهزم (جم) عند مدينة (اسكى شهر) فى جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ / يوليو ١٤٨١م ، وفرّ مع أسرته من هناك إلى حدود مصر حيث نزل ضيفا على السلطان المملوكي قايتباى(٢).

وقد انتقل الحال بعد ذلك بالأمير (جم) الى حلب ثم إلى مدينة قونية حيث هُزم مرة ثانية ، وفرّ إلى جزيرة رودس حيث احتمى بفرسان القديس يوحنا، فأرسلوه من هناك إلى روما فأصبح تحت يد البابا الذى قبل تسليمه الى شارل الثامن ملك فرنسا الذى جاء الى ايطاليا متوهما قدرته على الوصول من هناك الى مهاجمة القسطنطينية، وقد مات (جم) فى جمادى الأولى سنة ٩٠٠هـ / فبراير ١٤٩٥م وكان فى السادسة والثلاثين من العمر فى منفاه

---

(١) بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص ٥٦، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٥.

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٨، د.على حسون: الدولة العثمانية ص١٦٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٥٣.

(البلولي)[1].

وتم دفنه في بلدة (جانيت) بإيطاليا، ثم نقلت جثته بعد ذلك ...ة إلى الأراضي العثمانية حيث جرى دفنه في قبور أجداده في ...ينة بروسة [2].

العلاقات مع أوربا

في عهد بايزيد الثاني ابتدأت علاقات الدولة العثمانية مع المملكة الروسية في سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م، فقد وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه جملة من الهدايا للسلطان، وبعد ذلك بأربع سنوات وفد إليها سفير آخر وحصل الروس من جراء ذلك على بعض إمتيازات لتجارهم[3].

وقد حافظ السلطان بايزيد الثاني على النفوذ العسكري البري للدولة العثمانية، وسعى أيضا لتدعيم أسطولها البحري فانكب سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م على بناء سفن عديدة وتزويدها بأسلحة مهمة وبحارة متمرسين أملا في التجاوب مع طلب العون الذي أرسله مسلمو الأندلس، فأصبحت القوى العثمانية البحرية موضع حسبان

---

(1) بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص ٥٧ ، د.أكمل الدين إحسان : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج١ ص٢٨، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٧٩.

(2) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٦٩، ص٧٠.

(3) د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٤٢ ، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص١٦٥.

لدى الأوربيين[1].

وفى جانب آخر ساءت العلاقات بين العثمانيين والبنادقة، فأرسل السلطان جيوشه من البر والبحر لفتح مدينة (ليبانتو) من بلاد اليونان وكانت تابعة للبنادقة[2] ففتحت بكل سهولة، واضطرت البندقية - خوفا من تقدم الأتراك الى مركز حكومتها وبالتالي ضياع استقلالها - إلى الاستعانة بممالك أوربا المسيحية فانجدها البابا وملك فرنسا ببعض مراكب حربية وساعدوها على محاصرة جزيرة (ميدللى) لإشغال العثمانيين عن بلادها، فلم ينجح ذلك، بل فتح العثمانيون مدينة (رودشو) الواقعة على بحر الأدرياتيك ولولا عصيان أولاد السلطان عليه في الأناضول لفتحت باقي بلاد البنادقة، بل إن السلطان اضطر الى مصالحة البندقية شعبان سنة ٩٠٧هـ/ فبراير ١٥٠٢م وفى السنة التالية تم الصلح كذلك مع ملك المجر[3].

الأناضول في ظل العلاقات مع الصفويين:

تنسب الدولة الصفوية الى الشيخ صفى الدين بن جبرائيل العلوي الحسيني (٦٥٠ : ٧٣٥) هـ الذى يقال أن نسبه يتصل

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦١- ١٦٢.

(٢) بروكلمان : الأتراك العثمانيين وحضارتهم ص ٥٩ ، محمد فريد تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧١.

(٣) د.أكمل الدين إحسان : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص١٠، د.على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٤٢، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٢.

الإمام موسى الكاظم سابع الأئمة الاثنى عشرية عند الشيعة الإمامية (١).

واشتهر الشيخ صفي الدين بأنه عالم صوفي، وبأنه كان يدعو الى المذهب الشيعي في الحلقات الصوفية بأردبيل الواقعة فى شمالى أذربيجان، وكان لهذا الشيخ صلة معروفة بالأمير جوبان (ت/ ٧٢٨هـ) أتابك الإيلخان المغولي أبى سعيد (ت/ ٧٣٦هـ) ويقال أن الأمير جوبان وكذلك الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذانى (ت/٧١٨هـ) وابنه غياث محمد الوزير (ت/ ٧٣٦هـ) كانوا من مريدى هذا الشيخ(٢)، ويصعب قبول ذلك على إطلاقه، لأن هؤلاء كانوا من الشافعية ومعروفين بميلهم إلى أهل السنة والجماعة.

وحين تمكن تيمورلنك من إلحاق الهزيمة بالأتراك العثمانيين فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٤هـ، تدخل الشيخ صدر الدين موسى بن صفي الدين لديه فعفا عن الأسرى الأتراك، وقد حظى خوجه على بن صدر الدين بحكم منطقة أردبيل من قبل تيمورلنك الذى جعلها وقفًا عليه وعلى أبنائه من بعده، فأصبحت أردبيل قاعدة للحركة الصفوية(٣).

---

(١) د.محمد هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ص٤٣، د.على الصلابي : الدولة العثمانية ص ١٧٧، دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص٨٦.

(٢) انظر: د.فؤاد عبد المعطى الصياد : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص٤٩٣.

(٣) د.عبد الله جمال الدين : من تاريخ الشرق الإسلامى فى العصر الحديث

وكان طبيعيا بحكم الموقع الجغرافي والخلاف المذهبي أن تدخل الحركة الصفوية في صراع عسكري ضد دولة الشياه البيضاء (آق قويونلو) التي كانت إحدى الدول التي قامت على أنقاض دولة المغول الإيلخانية في إيران متخذة من أرمينية وأذربيجان بلادا لها[1].

وقد أتيح للأمير إسماعيل الصفوي (٩٠٧ : ٩٣٠)هـ أن يفلت بحياته بعد مقتل أبيه حيدر بن جنيد في صراعه مع أمير شروان سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م وكان في هذا الإفلات إيذانا بقيام الدولة الصفوية على يد هذا الأمير الذي نجح - فيما بعد - في هزيمة دولة الشياه البيضاء واتخاذ مدينة (تبريز) عاصمة له سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م[2].

وكذلك نجح إسماعيل الصفوي في الاستيلاء على العراق وفارس وكرمان وهمذان وخراسان ، وشقت جيوشه طريقها شرقا حتى مدينة خيوة[3] الواقعة في إقليم خوارزم جنوبي روسيا الآن .

وجاء استيلاؤه على العراق بما اشتهر به من خصوبة

ص١٢٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٣.

(١) عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ص ٦٠٦، برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ص١٣٦ - ١٣٧.

(٢) د.عبد الله جمال الدين : مرجع سابق ص١٢٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٤.

(٣) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ص٣٨، دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص٨٦،د.عبد الله جمال الدين : مرجع سابق ص١٢٣.

جنوبيه، ووجود مزارات الشيعة المقدسة به دافعا لان يقوم بزيارة مشهد الإمام الحسين فى كربلاء ، وأن يبنى مسجدا عند قبر الإمام موسى الكاظم فى غربى بغداد(١).

وأتى إعلان الشاه الصفوى المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة بمصاعب جمة لأهل السنة ، فقد جرت مذبحة هائلة فى منطقة (كازرون) الواقعة فى ولاية شيراز أسفرت عن مقتل قرابة عشرين ألفا من أهلها وبعض علمائها وخطبائها ، وضياع أموال أهلها(٢).

ولم يكن الخلاف المذهبي بين الدولتين الصفوية (الشيعية) والعثمانية (السنية) بمنأى عن احتدام الصراع العسكرى السياسي بينهما ، فقد أدى استيلاء الصفويين على منطقة ديار بكر ، والإغارة على إمارة ذي الغادر سنة ٩١٣هـ الى إثارة غضب العثمانيين حيث أصبح الجنوب الشرقى للأناضول مهددا بالخطر من قبل هؤلاء الصفويين (٣).

---

(١) د.محمد هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ص٤٤ ، د.على الصلابي : الدولة العثمانية ص ١٧٨، د. حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص٢٢.

(٢) د.عبد الله جمال الدين : مزجع سابق ص١٢٤-١٢٥، د.على الصلابي : الدولة العثمانية ص ١٧٩ .

(٣) د.أكمل الدين إحسان : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج١ ص٣١ ، د.إبراهيم العدوى : التاريخ الإسلامى آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية

وسرعان ما عمد الصفويون إلى الترويج للمذهب الشيعي داخل الأناضول، ونشط الداعي الشيعي "شاه قولي" لذلك في شرقي الأناضول في السنة الأخيرة من حكم بايزيد الثاني، فاضطر العثمانيون رغم مشاغلهم العديدة إلى مقاومة هذه الثورة الشيعية، فتحركوا بقيادة الأمير سليم الأول الذي كان حاكماً آنذاك على طرابزون ونجحوا فعلاً في إخمادها في سنة ٩١٧هـ/ ١٥١٥م[١]، لكن "شاه قولي" نجح في الفرار إلى إيران حيث لجأ إلى حماية الشاه إسماعيل الصفوي[٢].

العلاقات مع المماليك

كان العثمانيون حريصين على استمرار العلاقات الطيبة مع جيرانهم سلاطين المماليك فى الجنوب الذين يحكمون مصر والشام غير أن التغيرات السياسية والعسكرية لم تكن لتسير على وتيرة واحدة ومن ذلك حادثة استقبال السلطان قايتباى المملوكى للأمير

ص٤٠٥.

(١) د.محمد هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ص٤٨، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٥، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٠.

(٢) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٣٢، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٥.

(جم) وإكرام وفادته ورفض تسليمه لأخيه السلطان بايزيد الثانى حين طلب ذلك [١].

كذلك كان سلاطين المماليك يخافون أن يتبوأ سلاطين الدولة العثمانية مكانتهم فى العالم الإسلامى بعد فتحها القسطنطينية ، واستنجاد مسلمي الأندلس بهم [٢] من خطر الأسبان وحلفائهم.

وفي غربي البحر المتوسط وشمالي أفريقيا كان الترحيب بالقوة البحرية العثمانية وبصفة خاصة من مسلمي أسبانيا واعتبار نشاطها جهادًا بحريا ضد أعداء الدين [٣].

ولعبت مناطق الحدود بين الدولتين عند أضنه وطرطوس وملطية دورا خطيرا فى إذكاء نار الخلاف بين الطرفين حتى وقعت المناوشات والاحتكاكات العسكرية أكثر من مرة [٤].

وقد تدخل حاكم تونس لوقف وقوع الحرب بين الطرفين، فى وقت بالغ الحرج ، فاتفقا على حلٍ مرضٍ للطرفين وساعد على ذلك

---

(١) د.محمد هريدي : الحروب العثمانية الفارسية ص٤٢، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٠٧، د. حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص٢٨.

(٢) د. محمد هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص ٤٣.

(٣) جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٠، عبد المؤمن أكرم : أضواء على تاريخ توران ص ١٧٣.

(٤) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٠.

ميل السلطان بايزيد الثاني نفسه للسلم[1].

وفي الحقيقة لم يكن بايزيد الثاني موفقا في الحروب التي خاضها ضد المماليك إذ انتهت هذه الحرب بهزيمة العثمانيين في شمالي الشام وجنوبي الأناضول[2].

وتعبيرًا عن رغبته الأكيدة في السلم أرسل بايزيد الثاني رسولاً من قبله إلى السلطان المملوكي قايتباي سنة ١٤٩١م ومعه مفاتيح القلاع التي استولى عليها العثمانيون على الحدود بين الدولتين ، وقد لقي هذا الأمر ترحيبا لدى السلطان المملوكي ، فأمر بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين ، فتم الصلح بين الطرفين سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م[3] إلى حين.

السلطان وبنوه

تكدر صفو حياة السلطان بايزيد الثاني في سني حكمه الأخيرة بعصيان أولاده عليه واضطرامهم في نار الحروب الشخصية التي لولا ما وقع في قلوب أعدائهم من الرعب لكانت هذه الحروب العائلية وبالاً عليهم، وذلك أن السلطان بايزيد الثاني كان له ثمانية أولاد ذكور توفي منهم خمسة في صغرهم، وبقي

---

(١) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٠، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٥٨.

(٢) د.أكمل الدين إحسان : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج١ ص٢٩

(٣) د.علي الصلابي : الدولة العثمانية ص٦٤، د. عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي ص٤٨- ٤٩.

ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم[1]، وكان السلطان بايزيد يصطفي منهم لخلافته ابنه أحمد، الذي كان أحب أولاده إليه، حتى لقد أظهر الرغبة في التنازل له عن العرش[2].

ولاختلافهم في المشارب والآراء خشي والدهم وقوع الشقاق بينهم ففرق بينهم، وعين كركود واليا على إحدى الولايات البعيدة، وأحمد على أماسيا، وسليما على طرابزون، وحفيده سليمان بن سليم واليا على كافا بالقرم[3]، فلم يرض سليم بهذا التعيين، بل ترك مقر وظيفته وسافر إلى كافا بالقرم، وأرسل إلى أبيه يطلب منه تعيينه في إحدى ولايات أوربا، فلم يقبل السلطان بل أصر على بقائه في طرابزون[4].

وعصى الأمير سليم والده جهارا، وسار بجيش جمعه من قبائل التتر إلى بلاد الروملي وأرسل والده جيشا لإرهابه، ولما وجد من ابنه التصميم على المحاربة قبل تعيينه بأوربا حقنا للدماء، وعينه واليا على مدينتي سمندرية وودين سنة ٩١٦هـ/ ١٥١١م[5].

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٢، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨١.

(٢) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٦١.

(٣) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٢، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٥.

(٤) بروكمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٦٠، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٣.

(٥)البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ١٣٣، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٢،

ولما وصل إلى كركود خبر نجاح أخيه سليم في مسعاه انتقل إلى ولاية صاروخان، واستلم إدارتها بدون أمر أبيه ليكون قريبا من القسطنطينية عند الحاجة[١].

ثم سار سليم إلى أدرنة وأعلن نفسه سلطانا عليها، فأرسل والده جيشا هزمه، والجأه إلى الفرار ببلاد القرم[٢]، وأرسل جيشا آخر لمحاربة كركود بالأناضول فهزمه أيضا، لكن السلطان بايزيد التزم بالعفو عن ابنه سليم بناء على إلحاح الانكشارية الذين أتوا بسليم إلى القسطنطينية باحتفال زائد، وساروا به إلى سراي السلطان، وطلبوا منه التنازل له عن الملك، فقبل ذلك[٣]، واستقال من منصبه في صفر سنة ٩١٨هـ/ أبريل سنة١٥١٢، وسافر للإقامة ببلدة (ديموتيقا)مسقط رأسه فتوفي كمدًا في الطريق في ربيع الأول سنة ٩١٨هـ/ مايو سنة ١٥١٢م عن ٦٧ سنة ومدة حكم ٣٢ سنة[٤].

وقد أولى السلطان بايزيد الثاني الجانب الحضاري في الدولة

---

(١) بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٦١.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ١٣٣، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٦.

(٣)البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ١٣٤، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨١.

(٤) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٣٠، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص١٧٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص١٦٧.

العثمانية اهتماما واضحا فقد أقام في أماسيا جامعا ومدرسة ومكتبا ورباطا ودارا للضيافة وزاوية أقامها جميعا وأتم بناءها وخصص مبالغ سنوية كبيرة من الخزانة ليصرف منها على المدرسين والفقراء وغير ذلك(١).

سليم الأول(*) ٩١٨هـ/ ٩٢٦هـ: ١٥١٢/ ١٥٢٠م

كان السلطان سليم قد تجاوز الأربعين من عمره حين آلت إليه مقاليد الحكم في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية، وكان مدينا في ارتقاء عرشه للانكشارية الذين رأوا فيه الرجل الصارم الطموح الذي يتناسب مع أطماعهم وطبيعتهم، وكانوا مستائين من السلطان بايزيد الثاني الذي كان قد حرمهم من بعض أسلاب الغزوات(٢).

وفي الحقيقة كان السلطان سليم رجلا حاد الطبع، شديد الانتقام، ويفسر ذلك إطلاق اسم "ياوز" أي القاطع أو المهول عليه، لكثرة ما أراق من دماء وأطاح من رؤوس حتى من أقرب الناس إليه(٣).

---

(١)البدليسي: شرفنامه ص١٣٦-جـ٢ص١٣٧.

(*) ولد سليم الأول في أماسيا سنة ٨٧٢هـ، انظر: الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ١ص٢٠٩، وكذلك أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان ص٥٦.

(٢)جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨١.

(٣) د.علي الصلابي: الدولة العثمانية ص١٧٦، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٤٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٠٨.

ومن ذلك أنه بمجرد اعتلائه العرش عين ابنه سليمان حاكما على القسطنطينية، وانطلق هو خلف إخوته في الأناضول، وفي مدينة بروسة قبض على خمسة من أولاد إخوته، وأمر بقتلهم، وفي ولاية صاروخان قبض على أخيه كركود وقتله، وفي مدينة أسكي شهر تم قتل أخيه الآخر أحمد[١].

وفي مدينة أدرنة استقبل السلطان سليم الأول سفراء دول عدة منها البندقية والمجر وموسكو ومصر، فأبرم مع جميعهم هدنة لمدة طويلة[٢]، وأعطى هذا مؤشرا واضحا على خوف هذه الدول من أن تطولها أيدي العثمانيين الأتراك.

وكان من المفترض أن يستكمل سليم الأول خطوات آبائه وأجداده، فينطلق إلى استكمال حركة الفتح في اتجـاه دول أوربا الشرقية، فيدعم الانتصارات العسكرية التي تحققت للعثمانيين هناك من جهة، ويقوي سياسة التتريك العثمانية من جهة أخرى، خاصة وأن الإسلام السلمي كان آخذا في الانتشار بين الأهالي من أبناء هذه المناطق، لكن هذا السلطان المسلم رأى أن يركز نشاطه العسكري في الاستيلاء على بلدان الشرق الإسلامي بدلا من ذلك، ويا له من خطأ فادح في الاتجاه غير المناسب.

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٣، د.علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ص٤٢، ٤٦، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٢.

(٢) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٣.

الصفويون

استغل الشاه إسماعيل الصفوي النزاع الذي نشب حول السلطنة بين أبناء البيت العثماني، وحرض الشيعة بآسيا الصغرى (الأناضول) على الثورة على العثمانيين السنيين، وأغرى أمراء الأطراف المجاورين لدولته بالخروج على السلطنة العثمانية، واحتضن الشاه الصفوي كذلك أبناء البيت العثماني الذين كانوا قد اضطروا إلى الفرار من آسيا الصغرى عندما اعتلى السلطان سليم الأول عرش الدولة العثمانية [1].

وفي المقابل بدأ السلطان سليم سلطنته بإخماد ثورة الشيعة في آسيا الصغرى، وأنزل برعاياه من أتباع المذهب الشيعي كثيرا من الاضطهاد، فهجم الشاه إسماعيل الصفوى على آسيا الصغرى للدفاع عن الشيعة، فأصبح العداء سافرا بين الدولتين العثمانية والصفوية [2].

وأعلن السلطان سليم الأول الحرب على الشاه إسماعيل الصفوي، وسافر على رأس جيوشه من مدينة أدرنة في ٢٢ من المحرم سنة ٩٢٠هـ/ ١٩ مارس سنة ١٥١٤م، متوجها إلى تبريز

---

(١) الغزي: الكواكب السائرة جـ١ص٢١٠، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٥، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢٠٩.

(٢) د.إبراهيم العدوي: نفس المرجع السابق ص٤٠٥، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص١٨٠، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٢.

عاصمة الصفويين في أذربيجان، وفي أثناء الطريق تبادل الطرفان رسائل عدة مفعمة بشتى ألوان السباب(١).

وعند وادي جالديران القريب من تبريز وقعت المعركة الفاصلة في الثاني من رجب سنة ٩٢٠هـ/ الرابع والعشرين من أغسطس سنة ١٥١٤م(٢)، فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا على الصفويين، حيث لعبت المدفعية العثمانية دورا مهما في تحقيق هذا النصر(٣).

أما الشاه إسماعيل الصفوي فقد فر تاركا خزائنه وأثقاله مع من تبقى من جيشه بعد أن وقع كثير من قواده في الأسر، وكذلك إحدى زوجاته، فرفض السلطان سليم إعادتها، وأمر بتزويجها من أحد كتبته انتقاما من الشاه الهارب.

وطارد السلطان سليم فلول جيش الشاه حتى حدود نهر الرس، فرفض الانكشارية الاستمرار في المطاردة بدعوى اشتداد

---

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٤، محمد حريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص٥٣، دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص٨٧.

(٢) البدليسي: شرفنامه جـ٢ص ١٤٠، بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٦١، د. حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص٢١.

(٣) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٤٢، جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٣.

البرد، وقلة المؤونة والأمتعة، فاضطر إلى العودة إلى أماسيا ليمضي الشتاء هناك(١).

وفي الربيع عاود السلطان سليم الأول مهاجمة بلاد الشاه الصفوي، ففتح قلعة كوماش الشهيرة، وإمارة ذي القادر سنة ٩٢١هـ/ سنة ١٥١٥م، ثم رجع إلى القسطنطينية حيث أمر بقتل عدد كبير من ضباط الانكشارية الذين كانوا قد عصوا أوامره(٢).

واختتم السلطان سليم المواجهات العسكرية في بلاد الشاه إسماعيل الصفوي بالاستيلاء على مدن ماردين والرقة والموصل فاكتمل إخضاع إقليم ديار بكر للسلطان العثماني، وخضع له رؤساء القبائل الكردية(٣).

وقد أدت هزيمة الصفويين أمام العثمانيين إلى بروز فكرة التحالف بين الصفويين والبرتغاليين، فعقب استيلاء القائد البرتغالي البوكرك على ميناء هرمز وصله سفير من لدن الشاه إسماعيل وتم الاتفاق على تحقيق الاتحاد بين الطرفين من أجل تحقيق مصالح مشتركة ضد العثمانيين(٤).

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة جـ١ص٢١٠، د.محمد هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص٥٣، د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص١٨٠، روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية جـ١ص٢١١.

(٢) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٤.

(٣) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٥.

(٤) د.على الصلابي: الدولة العثمانية ص١٨٢.

لقد وافق الشاه بناء على ذلك على أن تظل هرمز تحت السيطرة البرتغالية في مقابل حصوله على الأحساء فيشرقي شبه جزيرة العرب فلم يحصل الشاه منهم على شيء، بل ساعدت هذه الاتفاقية على تقوية النشاط البرتغالي على الخليج العربي[1].

كذلك أرسل الشاه إسماعيل الصفوي وفدا إلى مصر يطلب من سلطانها قنصوة الغوري أن يتحالف معه ضد الدولة العثمانية باعتبارها عدوا مشتركا ينبغي الإسراع بمحاربته قبل أن يقضي عليهما واحدا بعد الآخر، غير أن هذا التحالف لم يخرج إلى إطار التنفيذ العملي[2].

وفي عمليات إحكام السيطرة على الأناضول كان العثمانيون قد استولوا أيضا على الكثير من المدن التابعة للمماليك، ومنها: [عينتاب، ملاطية]، وتوغلوا في شمالي أراضيهم، فأصبحت الحرب على المماليك في مصر والشام بعد ذلك أمرا واقعا لا محالة فيه[3].

ومن جانب آخر سعى السلطان سليم الأول في إيقاف تجارة المماليك في العبيد الجراكسة القادمة من القوقاز إلى مصر عبر

---

(1) محمد هريدي: الحروب العثمانية الفارسية ص٥٥، د. حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص٤٤.

(2) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٤، ٧٥.

(3) أكمل الدين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٣٢، د.إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ص٤٠٥، د.علي الصلابي: الدولة العثمانية ص١٧٧.

الأساطول، كذلك عطّل وصول الأخشاب اللازمة التي كان يحتاجها المماليك في صناعة السفن وكذا البارود لمواجهة التهديد البرتغالي[1].

ولقد وصف العثمانيون المماليك بأنهم حكام مستبدون عاجزون عن رفع الظلم عن رعاياهم، كما كان وجود الخطر البرتغالي في خليج البصرة والبحر الأحمر عاملا آخر ساعدهم على صياغة الحجة الشرعية، فطرحوا قضية حماية الحرمين الشريفين والأماكن المقدسة من الخطر المسيحي، وأن الدولة المجاهدة القوية الوحيدة التي يمكنها التصدي له هي دولة العثمانيين، وعلى ذلك يكون العثمانيون قد وضعوا على عاتقهم واجبا مقدسا هو الدفاع عن العالم الإسلامي ضد الأخطار الخارجية[2].

---

(1) جون باتريك: القرون العثمانية ص١٨٣.

(2) د.أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة جـ١ ص٣٣.

بين العثمانيين والمماليك

اتسمت العلاقات بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية -في البداية- بكثير من صفات الود والاحترام المتبادلين، فالأصول التركية كانت تجمع بين سلاطين الدولتين، وكذلك الأعداء المشتركون، والمصالح المتقاربة، كما كان هناك الالتزام بالمذهب السني والدفاع عن الإسلام ضد خصومه المتربصين.

وعلى هذا لم يكن غريبا أن يسارع امبراطور بيزنطة أندرونيق الثاني سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م إلى طلب معاونة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (ت/٧٤١هـ) كي يضغط بما لديه من مكانة عند السلطان الغازي عثمان (ت/٧٢٧هـ/١٣٢٦م) كي يخفف من شدة وطأة العثمانيين على الحدود المشتركة في غربي الأناضول بين العثمانيين والبيزنطيين[١].

وفي سنة ٧٨٦هـ أرسل السلطان العثماني مراد الأول رسله إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق يحذره من خطر تحرك الأمير تيمور لنك على حدود دولتي المماليك والعثمانيين على السواء[٢].

وحين مرض السلطان العثماني بايزيد الأول (يلدرم) - أي: الصاعقة- أرسل إليه السلطان المملوكي الظاهر برقوق من مصر بطبيبه الماهر شمس الدين محمد بن الصغير ومعه الأدوية

---

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ق٢ جـ١ ص٢٥٩.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان جـ١ ص١٢٨

والعقاقير اللازمة[1].

ولم يتأخر الخليفة العباسي المقيم بالقاهرة عن إرسال التفويض والتكليف لبايزيد - بناء على طلبه - ليكون ما يفتحه من بلاد غير المسلمين شرعيا[2].

وقد كان نصيب كلتا الدولتين الهزيمة الفادحة حيث أخفقتا في التحالف سويا ضد الأمير تيمور لنك الذي تمكن من مداهمتهما كل على انفراد ، فهزم السلطان المملوكي فرج بن برقوق على مقربة من دمشق سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م،وهزم السلطان العثماني بايزيد الأول بالقرب من أنقرة سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م[3].

وقد استفاد كل من السلطان العثماني مراد الثاني (ت/٨٥٥هـ/١٤٥١م) والسلطان المملوكي الأشرف برسباي (ت/٨٤١هـ/١٤٣٨م) من التجربة السابقة فعمدا إلى تأكيد أواصر المحبة والمودة في مواجهة تهديدات شاه رخ بن تيمورلنك

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ١ ص٢٠٠ ، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١ ص١٦٠

(٢) بروكلمان : الأتراك العثمانيون وحضارتهم ص٩٢ ، د. أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ص٢٠

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة جـ١٢ ص٢٦٨ ، برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ص١٤ ، أرنولد توينبي : تاريخ البشرية جـ٣ ص١٨٤ ، استانلي لينبول : طبقات سلاطين الإسلام ص١٧٥

(تـ/٨٥٠هـ/١٤٤٦م) . ففي السادس عشر من رمضان سنة ٨٢٩هـ/الثاني عشر من يوليه سنة ١٤٢٦م وفد إلى السلطان المملوكي في مصر رسل السلطان العثماني وصحبتهم من التقدمة تسعة مماليك ومن القماش عدة أحمال ما بين سنجاب وسمور وحرير(١).

وحين تمكن برسباي من الاستيلاء على جزيرة قبرص نهائياً سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م وأقيمت الزينات في مصر كلها ، احتفالاً بذلك شاركت هذه السفارة العثمانية في أفراح القاهرة بمشاهدة ملك قبرص الأسير جانوس الأول ، وهو يمشي حاسر الرأس مكبلاً بالقيود(٢).

وفى سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م تنازل مراد الثانى عن العرش لابنه محمد الثانى ، وأرسل بذلك رسالة إلى السلطان المملوكي جقمق (تـ٨٥٧هـ/١٤٥٣م) يخبره بالأمر ويطلب أن يكون ابنه محمد تحت رعايته(٣) وتضمنت الرسالة هدية من محمد نفسه كانت عبارة عن أوانٍ رائعة من الفضة ، وثياب مخملية وثياب مذهبة وفى جملة التقدمة جوارٍ بيض روميات : عدة خمسة(٤).

---

(١) الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان جـ٤ ص٣٢٤

(٢) وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ص١٣٥ ،د. أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص١٢٩

(٣) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ص٥٧ .

(٤) الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان جـ٤ ص٣٦٤

وعندما سقطت القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فى يد السلطان العثمانى محمد الفاتح (ت/٨٨٦هـ/١٤٨١م) أرسل إلى السلطان المملوكى الأشرف إينال (ت ٨٦٥هـ/١٤٦١م) بشارة الفتح ، فأقيمت الأفراح فى القاهرة التى ازدانت بكل معالم الفرح والحبور ابتهاجاً بهذا الفتح الإسلامى الكبير[1] الذى كان يراود المسلمين منذ أيام الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان (ت/٦٠هـ=٦٨٠م) .

ولم تكن بعض الخلافات العابرة بين الدولتين المملوكية والعثمانية والتى كان يثيرها بعض أمراء الحدود فى الشمال ، أو فرار بعض الأمراء المطالبين بالحكم من هنا أو هناك لتترك أثراً عميقاً يقضى تماماً على العلاقات الطيبة المتصلة بين الطرفين .

سقوط دولة المماليك :

قد يتصور بعض الباحثين أن سقوط دولة المماليك البرجية فى مصر والشام كان مرهوناً بهجوم السلطان العثمانى سليم الأول (٩١٨هـ : ٩٢٤هـ) عليها ، ولكنّ هذا التصور لا يبدو دقيقاً من الناحية العملية ، فالدولة المملوكية التى نجحت فى أثناء نشأتها الأولى فى هزيمة المغول والصليبيين باتت تعانى مؤخراً من تراكم عوامل الضعف على نواحى الحياة فيها ، ويمكن إيجاز ذلك فى :

---

(١) أصاف : تاريخ سلاطين بنى عثمان ص٥١ ، د. صبرى سليم : الشرق الإسلامى من الغزو المغولى إلى الفتح العثمانى ص١٣٦ .

١. المجال السياسي

- احتدام الصراع المتواصل على الحكم والنفوذ بين كبار أمراء المماليك مستغلين أحيانا صغر سن بعض السلاطين أو ضعفهم أو عجزهم عن إدارة الدولة.
- تولية الوظائف الرئيسة المهمة في الدولة : الوزارة ، نيابة الأقاليم ، إدارة الدواوين ، الشرطة ، الحسبة ، عن طريق الرشوة والمحسوبية ، وقد أدى ذلك إلى وصول شخصيات انتهازية أو غير مؤهلة للعمل في المراكز الحساسة لإدارة الدولة(١).
- تعدد ثورات الأعراب (البدو) في الوجهين القبلي والبحري ، وبخاصة في الفترات التي كانت تنشغل فيها الدولة بمشاكل أخرى خطيرة ، الأمر الذي استنفذ طاقات الدولة وشتت انتباهها(٢).
- توالي الضغوط الخارجية على الدولة من قبل قوى مختلفة موازية منها جيوش تيمورلنك وخلفائه ، وتحركات القبائل التركمانية في شمالي الشام ، وإغارات القرصنة التي شنها الأوربيون على

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور جـ٥ ص٢٦-٢٧ وهو يذكر أن الأمير المملوكي الماس قد سعى للحصول على ولاية الشرطة بالقاهرة ، فدفع في سبيل ذلك أربعين ألف دينار نصفها معجلاً ونصفها بالتقسيط ، وكذلك سعى الأمير ماماي الصغير في الحصول على منصب المحتسب ، ودفع نظير ذلك خمسة عشر ألف دينار حتى وليه.

(٢) د.عبد الله جمال الدين : من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص٨٠.

مراحل على مصر والشام وجنوبي البحر المتوسط [١].

د. المجال العسكري

▪ ضعف رقابة السلاطين على الجيش وانتقال القيادة الفعلية فيه إلى كبار أمراء المماليك المشغولين بإقطاعاتهم الخاصة وصراعهم مع نظرائهم على السلطة والنفوذ [٢].

▪ الاعتماد على نظام المماليك الأجلاب (كبار السن) وتفضيلهم على غيرهم من الأجناس الأخرى وبخاصة المماليك القراصنة، مما أدى إلى اشتعال روح العنصرية داخل الجيش [٣].

---

(١) د. أحمد دراج : المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى /الخامس عشر الميلادى ص١٤٤ ، برتولد شبولر : العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص١٤١.

(٢) د. صبرى سليم : الشرق الإسلامى من الغزو المغولى إلى الفتح العثمانى ص١٦٢.

(٣) د. قاسم عبده قاسم: دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك ص٢٢ ويذكر ابن زنبل " أن المماليك القرانصة بعد أن باشروا الحرب فى مرج دابق وحدهم وتغيرت نياتهم على السلطان الغورى قالوا له : نحن نقاتل بأنفسنا مع النار ، وأنت واقف تنظر إلينا كالعين الشامتة ، ما تأمر أحداً من مماليكك (الجلبان) يخرج للميدان، انظر واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ص٣٣ ، والمماليك القرانصة أو القرانيص وهم مماليك السلاطين السابقين الذين ضمهم السلطان القائم إلى مماليكه وهم غير المماليك الجلبان الذين يجلبهم السلطان القائم لحراسته : انظر د.عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جـ١ ص١٤٨

- إهمال فنون التدريب العسكرى الجاد المتنوع الذى كان من قبل أهم ركائز الجيش فى عصر نشأة الدولة المملوكية واستقرارها ، والذى كفل لها التفوق فى أخطر المعارك التى خاضتها ضد أعدائها المغيرين من المغول والصليبيين.
- التخلف عن متابعة التطور العسكرى عند القوى العسكرية الجديدة ومنها العثمانيون والبرتغاليون الذين استخدموا المدافع المتحركة والبنادق[1]، إذ حافظ الجيش المملوكى على تقاليده القديمة فى الفروسية والقتال ، ولم يحاول سلاطين المماليك تطوير هذا الجيش بما يناسب تطور نظام التسليح لدى الجيوش المعاصرة[2].

٢ـ المجال الاقتصادى :

- تكرار الضرائب وتنوعها ، فقد كان بعضها أسبوعياً ، وبعضها شهرياً فعانت أسواق البلاد منها بشدة ، وتوقفت حركتها ، وتعطلت حركة التجارة الداخلية بوجه عام[3].
- إصرار بعض السلاطين وبخاصة فى أواخر عصر الدولة المملوكية بداية من السلطان برسباي على ممارسة سياسة الاحتكار التجارى لمصلحتهم الخاصة ، وتلاعب بعضهم فى سعر العملة

---

(١) د.أحمد فؤاد متولى : الفتح العثمانى للشام ومصر ص٢٥٤ د. محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص٢٦.

(٢) ابن اجا : العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ص٢٥٩.

(٣) د.قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك ص٥٤-٥٥ .

المتداولة فى أثناء الأزمات الاقتصادية(١).

▪ المغالاة فى فرض الرسوم الجمركية على التجارة الخارجية القادمة من الشرق مروراً بمصر والشام ، فكان ذلك من أهم الأسباب التى دفعت البرتغاليين إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، والضغط بقوة لتقليص النفوذ التجارى المملوكى فى منطقة حوض البحر المتوسط(٢).

▪ اتباع نظام الإقطاع ، وما ترتب عليه من تكرار فرض الضرائب والإتاوات النقدية والعينية على الفلاحين حتى عجز معظمهم عن أداء عمله ، فهجر أرضه وفرّ بنفسه وأهله(٣).

▪ إهمال صيانة عدد كبير من الترع والجسور فى أواخر عصر الدولة البرجية، وهو أمر خطير انعكس سلباً على الإنتاج الزراعى فى مصر .

▪ كثرة المشاحنات الطاحنة التى كانت تدور بين المماليك فى الشوارع والأسواق ، وما ترتب على ذلك من تبديد أموال التجار والحرفيين واختفاء بعض السلع وارتفاع أسعار غيرها ، كما أدى

---

(١) د.سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ص٢٦٩ .

(٢) د.أحمد دراج : المماليك والفرنج ص١٢٧ ، د.أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٥ ص٢١١ ، برتولد شبولر : العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص١٤٠-١٤١ .

(٣) برتولد شبولر : العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص١٤٠

إلى كساد التجارة الداخلية[1].

د. المجال الاجتماعي

- كثرة انتشار الأمراض والأوبئة وبخاصة الطاعون الذي لم يخلُ من بعض نوائبه العامة والمماليك وأسرة السلطان المملوكي نفسه أحيانًا[2].
- تعدد الاضطرابات وفقدان الأمن وانتشار قطاع الطرق في أوقات الثورات الداخلية.
- إهمال التعليم وجمود مؤسساته عند أولويات بسيطة مما أدى إلى انتشار الجهل والعادات البالية والخرافات[3].
- تكرار محاولات بعض السلاطين في انتزاع الأوقاف المخصصة للمدارس والجوامع والبيمارستان والأسبلة وغيرها من المنشآت ذات الطابع الديني أو الخيري بدعوى الإنفاق على الجيش وكان الاهتمام بإنشائها من سمات عصر سلاطين المماليك الأول[4].

---

(1) د. عبد الله جمال الدين : من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص٨٢ ، قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي،عصر سلاطين المماليك ص٤٨ .

(2) د. قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، عصر سلاطين المماليك ص١٥١ .

(3) د.محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ص٢٦ ، وليم موير دولة المماليك في مصر ص١٦٢ .

(4) د. قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، عصر سلاطين المماليك ص٢٤-٢٥ ، برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر

السلطان وقصور الأمراء في إقامة الولائم والاحتفالات ، وتنافس الأمراء في هذا الإطار الضيق دون الاهتمام بتشجيع الفن الراقي والفنانين[1] أدى إلى تدهور صناعات وفنون مهمة مثل فن البناء أو نحت الخشب أو الحجر أو نقش المعادن أو صناعة الزجاج وزخرفته ، فلما قرر السلطان سليم الأول الرحيل عن مصر أخذ ما بقى في هذا المجال من إنتاج وصناع مهرة .

• كثرة النفقات التي كانت تبذل على قصر

الفتح العثماني للشام ومصر

رأينا إذن كيف كانت الدولة المملوكية الفخمة والتي كانت تبهر الأبصار بعظمتها الظاهرة خاوية الوفاض من الداخل ، حتى إنها كانت مهيأة للانهيار الكامل قبيل الالتحام مع الأتراك العثمانيين الذين كانوا على علم تام - من خلال عيونهم داخل الدولة المملوكية - بحقائق الأمور ودقائقها.

وعلى هذا فإن ما حدث في موقعة مرج دابق الواقعة شمالي حلب في يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب سنة ٩٢٢هـ/الرابع والعشرين من أغسطس سنة ١٥١٦م[2] من انتصار

المغولي ص١٤٠ .

(١) ستانلي لينبول : سيرة القاهرة ص٢٣٥ .

(٢) بول كولز : العثمانيون في أوربا ص٦٤ ، جان جرامون : أوج الإمبراطورية العثمانية (١٥٢١ : ١٦٠٦م) ، مقال ضمن كتاب تاريخ الدولة العثمانية جـ١ ص٢١٤ ، إشراف : روبير مانتران ، ترجمة بشير السباعي .

للأتراك العثمانيين على المماليك الجراكسة لم يكن فى الواقع سوى الضربة الأخيرة التى حطمت الحجر المطحون من الداخل بعد أن نالته ضربات عدة سابقة ، فما أبداه بعض المماليك من شجاعة فائقة وبطولة نادرة لم يكن ليجدى عملياً أمام الجيش العثمانى الذى كان فائق التسليح جيد التدريب كامل الإخلاص لقيادته ، ومن ثم تمكن من استرداد زمام الأمور ، وانتزاع النصر فى نهاية المطاف[١].

كذلك لم يقدر لطومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر أن يصمد طويلاً فى مواجهة العثمانيين ، فقد هُزم فى موقعة الريدانية فى شمالى القاهرة فى التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ٩٢٢هـ/الثانى والعشرين من يناير سنة ١٥١٧م[٢] وانتهى الأمر - بعد صراع مشرف - إلى وقوعه فى أسر السلطان العثمانى سليم الأول ، فأمر بشنقه على باب زويلة استجابة لنصيحة بعض أتباعه من المماليك الجراكسة[٣] فانتهت بموته فى الحادى

---

(١) ابن زنبل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ص٣١-٣٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور جـ٥ ص٦٨-٧٢ ، صلاح عيسى : رجال مرج دابق ص٧٧-٧٩ .

(٢) محمد فريد : الدولة العلية العثمانية ص٧٥-٧٦ ، د.على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص٥٧ ، د.صبرى سليم : الشرق الإسلامى من الغزو المغولى إلى الفتح العثمانى ص١٦٣ .

(٣) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ جـ٢ ص٤٦ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار مَنْ ذهب جـ٨ ص١٤٥ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص١٩٩ ، صلاح عيسى : رجال مرج دابق ص١١٢ .

العشرين من ربيع الأول سنة ٩٣٢هـ/الثالث عشر من ابريل سنة ١٥١٧م دولة المماليك التى ظلت تحكم مصر والشام منذ عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[1] حتى تاريخ سقوطها.

---

(١) ابن سباط : صدق الأخبار جـ٢ ص٩٣٧ ، خليل أدهم : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١ ص١٦١ ، د.محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق الإسلامى ص١١٣ ، ويذكر ابن طولون : أن شنق طومان باى وقع يوم الاثنين الحادى عشر من ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـ انظر : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان جـ٢ ص١٦٠ .

الخاتمة

استعرض البحث العلاقات الطيبة التي قامت في البداية بين دولة الأتراك العثمانيين ودولة المماليك والتي استمرت فترة طويلة ثم قطعها تداخل المصالح بينهما من جراء الصراع على الحدود في شمالي الشام التابع للمماليك وجنوبي الأناضول التابع للعثمانيين .

واتضح أنه في الوقت الذي استمر فيه صعود نجم العثمانيين بتوالي انتصاراتهم في شرق أوربا ، كانت شمس دولة المماليك قد شرعت في الأفول ، فلقد أدى ظهور الأساطيل البرتغالية القوية في المحيط الهندي وعرقلتها حركة التجارة القادمة من الشرق الأقصى والهند إلى غربي أوربا عبر أراضي الدولة المملوكية إلى حرمان هذه الدولة من أهم مصادر ثرائها وقوتها .

وكانت فرضية الظروف الاقتصادية والعسكرية تستوجب من السلطان المملوكي قانصوه الغوري أن يسلك نهجاً سياسياً غير الذي ارتآه ، وأن يقف على الحياد في الصراع الذي شبّ بين الصفويين الشيعة في إيران ، والعثمانيين السنة في الأناضول ، وكانوا العثمانيون هم الأقدر عسكرياً وبحرياً على مساعدته في صراعه ضد أعدائه البرتغاليين الذين أثبتوا براعة وتفوقاً بحرياً على الأسطول المملوكي في البحر الأحمر حتى إنهم هددوا الأماكن المقدسة في مكة والمدينة .

ولم يغفل البحث الإشارة إلى العوامل الأخرى التي أدت إلى

...دولة المماليك الجراكسة في وقت شديد الحرج لا كانت ... الأوربية الحديثة قد شرعت تؤدى دورها في توسيع الفارق الحضارى بين الشرق والغرب وبخاصة في مجال التسليح العسكرى .

أيا كان الأمر ، فقد سقطت دولة المماليك عملياً أمام العثمانيين في الشام ومصر ، وشنق سلطانها الأخير على باب زويلة في القاهرة ، وأصبحت مصر ولاية عثمانية ، ونال خاير بك الخائن مكافأة سخية ، فأصبح أول الولاة العثمانيين في مصر بعد ...ل كان من كبار أمراء المماليك الجراكسة فيها سلفاً .

وعلى الرغم من طبيعة النظام العثماني العام الذى كان يقر بإبقاء التراكيب الطبقية في الولايات التابعة له ، ولا يتدخل في تكوينها ، فقد شرعت رياح التغيير تطرأ على النظام الإدارى في مصر ، حيث حلّ البكلربكي (الباشا) مكان السلطان المملوكي في رئاسة الدولة ، لكنه كان محدود السلطات ، مقيداً بتدخل أعضاء الديوان في اختصاصاته ، وكان هؤلاء يعينون من قبل الحكومة المركزية في استانبول مباشرة ، أى لا سلطان عليهم ، وعلى رأس هؤلاء قواد الحامية العثمانية في مصر ، والقضاة وأمراء السناجق .

وزادت الحكومة العثمانية في تقييد سلطات البكلربكي فجعلت مدة ولايته محددة أيضاً ، وكانت تعتقد بذلك أنها تضمن لنفسها إحكام السيطرة على الولاة والولايات معا .

وتغير شكل الديوان العثماني في مصر عما كان عليه نظيره

فى أيام المماليك ، فكان انعقاده أسبوعياً ، وانقسم إلى ديوان كبير وآخر صغير وحظى أعضاء الديوان الكبير بكثير من حرية الرأى امتدت إلى نقض سياسة الوالى أحياناً ، وإلى طلب عزله من قبل السلطان العثمانى فى حالة ارتكابه أخطاء جسيمة أو مخالفات مالية خطيرة أحيانا أخرى.

ولهذا رأى البحث أن الديوان العثمانى فى مصر عقب الفتح كان أكثر دقة ، وأفضل تنظيماً وأبعد أثراً وتـأثيراً مـن الديوان المملوكى الذى كان يعرف بديوان المشورة ، والذى كان شكلياً فى أغلب الأوقات ، ولا يملك من الأمر شيئاً فى مواجهة السلطان المملوكى .

وفى ظل نظام إدارة الأقاليم (السناجق) لم يفقد من تبقى فى مصر من كبار أمراء المماليك الجراكسة الـذين أعلنـوا ولاءهم للسلطان العثمانى شيئاً يذكر ، فقد أصبح معظمهم ولاة للأقاليم فى ظل النظام الجديد ، وتولى بعضهم وظائف أخرى مهمة منها إمارة الحج ، وقيادة حرس الخزانة التى ترسلها الولاية إلـى العاصمة المركزية ، وغير ذلك من المهام الخطيـرة التـى كانـت الدولة العثمانية تكلفهم بها .

وهكذا لم يقدر للعامة من المصريين فى الأقاليم ، وبخاصة المزارعون منهم أن يفلتوا من سطوة أولئك المماليك الجراكسة ، ولا من ضرائبهم المتكررة، التى كانوا يرسلون منها إلى الوالى فى القلعة فى شكل مقررات رسمية وهدايا وألطاف . . . الخ .

ولكن يبقي للدولة العثمانية دورها الكبير في نشر الإسلام في شرقي أوربا وفي محاولة التصدي للخطر البرتغالي في البحر الأحمر والذي أوشك أن يطال الأماكن في مكة وما حولها بكثير من الخطر والأذى.




الدولة العثمانية
البحر الأسود
بلاد البلقان
برقة

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

ابن اجا : محمد بن محمود الحلبى (ت/٨٨١هـ)

١- العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، مع رحلة الأمير يشبك بن مهدى الدوادار تحقيق محمد أحمد دهمان ، نشر دار الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ابن إياس : محمد بن أحمد ، الحنفى

٢- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، طبعة ثانية مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت/٨٧٤هـ)

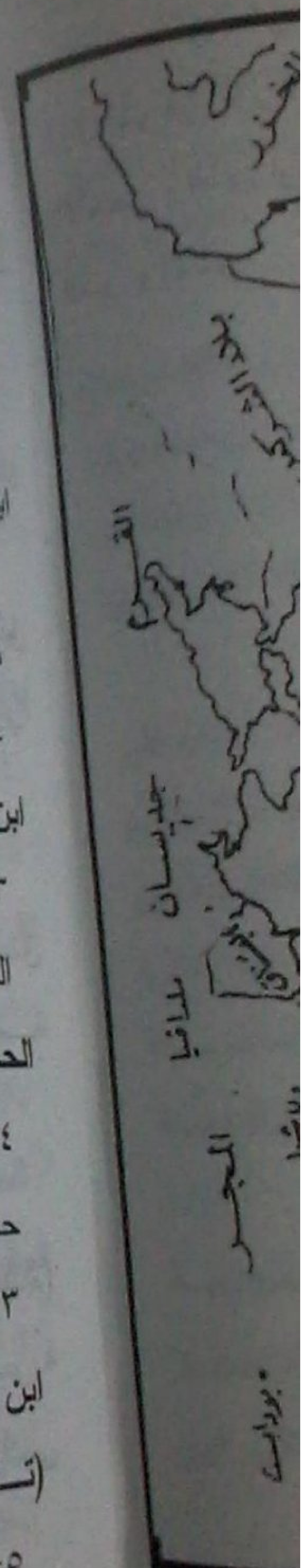
٣- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

الحموى : أحمد بن محمد (ت/١٠٩٨هـ) :

٤- فضائل سلاطين بنى عثمان ، تحقيق الدكتور / محمد حسن سليم ، نشر دار الكتاب الجامعى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

ابن زنبل : أحمد بن أبى الحسن على بن نور الدين (ت/٩٦٠هـ)

٥- واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ، تحقيق عبد



المنعم عامر ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

ابن سباط : حمزة بن أحمد بن عمر (ت/٩٢٦هـ)

٦- صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط ، طرابلس ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

الصديقى : محمد بن السرور البكرى .

٧- النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الرازق عبد الرازق عيسى .

٨- المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية،تقديم وتحقيق وتعليق الدكتورة/ ليلي الصباغ، نشر دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الصيرفى : الخطيب الجوهرى على بن داود

٩- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور /حسن حبشى نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

ابن طولون : شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ)

١٠- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) القسم الثانى ، تحقيق محمد مصطفى ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م .

ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى (ت/١٠٨٩هـ)

١١- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (بدون تاريخ)

الغزي: نجم الدين محمد بن محمد(ت/١٠٦١هـ)

١٢- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(ت/٨٠٧هـ)

١٣- تاريخ ابن الفرات، نشر جامعة بغداد، الطبعة الأولي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

ابن قاضى شهبة: تقى الدين أبو بكر بن أحمد (ت/ ٨٥١هـ)

١٤- تاريخ ابن قاضى شهبة، نشر المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، الطبعة الأولي، ١٩٩٤م.

القرمانى : أحمد بن يوسف (ت/١٠١٩هـ)

١٥- أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، دراسة وتحقيق د/أحمد حطيط ، د/فهمى سعد ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت/٨٤٥هـ)

١٦- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، حققه وقدم له ووضع حواشيه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة والإعلام المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

ثانياً: المراجع العربية

أصاف: عزتلو يوسف بك (دكتور)

١٧- تاريخ سلاطين بني عثمان، من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم الدكتور / محمد زينهم محمد عزب، نشر مكتبة مدبولي، بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

أكرم: عبد المؤمن:

١٨- أضواء على تاريخ توران(تركستان)، نشر دار مطبوعات مكة، الطبعة الأولي، ١٣٩٥هـ.

أنيس: محمد (دكتور)

١٩- الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤م) نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة: الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

جمال الدين: عبد الله محمد (دكتور)

٢٠- من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث، بدون تحديد لدار النشر، أو الطبعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

حرب: محمد (دكتور)

٢١- العثمانيون في التاريخ والحضارة، نشر المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

حسن: إبراهيم حسن (دكتور)

٢٢- النظم الإسلامية، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

حسون: على (دكتور)
٢٣- تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
دراج : أحمد (دكتور)
٢٤- المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى ، نشر دار الفكر العربى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
سليم : صبرى عبد اللطيف (دكتور)
٢٥- الشرق الإسلامى من الغزو المغولى إلى الفتح العثمانى ، نشر دار العلم بالفيوم / مصر ، الطبعة الأولى ١٤٨١هـ/١٩٩٨م .
شلبى : أحمد جاب الله (دكتور)
٢٦- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ٥ (مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر) نشر دار النهضة المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
عاشور : سعيد عبد الفتاح
٢٧- مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ، نشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) .
عبد السيد: حكيم أمين (دكتور)
٢٨- قيام دولة المماليك الثانية، الناشر الدار القومية للطباعة

والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.

العدوى : إبراهيم أحمد (دكتور)

٢٩- التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

علي: أورخان محمد

٣٠- روائع من التاريخ العثماني، نشر دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

عيسى : صلاح

٣١- رجال مرج دابق ، نشر دار الفتى العربي للنشر والتوزيع بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

فريد : محمد

٣٢- تاريخ الدولة العلية العثمانية ، نشر دار الجيل ، بيروت ، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م.

قاسم : عبد قاسم (دكتور)

٣٣- عصر سلاطين المماليك ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعي ، نشر دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

ماجد : عبد المنعم (دكتور)

٣٤- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى

١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
ماهر : سعاد (دكتورة)
٣٥- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
متولي : أحمد فؤاد (دكتور)
٣٦- الفتح العثماني للشام ومصر ، ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له ، نشر الزهور للإعلام العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٥م .
مؤنس: حسين(دكتور)
٣٧- الشرق الإسلامي في العصر الحديث، نشر مكتبة التجارية الكبري، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
هريدي: محمد عبد اللطيف(دكتور)
٣٨- الحروب العثمانية الفارسية، نشر دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

ثالثا: المصادر الفارسية:

البدليسي: شرف خان
٣٩- شرفنامه، نقله إلي العربية الأستاذ محمد عونى، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٢ها/١٩٦٢م.

رابعا: المراجع الفارسية:

اشتياني: عباس إقبال:

٤٠- تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله إلى العربية، الدكتور/ محمد علاء منصور، نشر دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

خامسا: المراجع الأوربية:

أرنولد: توماس (دكتور)

٤١- الخلافة، نقله من الانجليزية إلى العربية الأستاذ /جميل معلى نشر، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، دمشق سورية، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م.

أوغلى: أكمل الدين إحسان

٤٢- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة نقله من التركية إلى العربية الدكتور /صالح سعداوى نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

إلدم: خليل أدهم:

٤٣- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، نقله عن التركية الدكتور/ أحمد السعيد سليمان، نشر دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولي ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

باربارو: نيقولو
٤٤- الفتح الاسلامي للقسطنطينية، يوميات الحصار العثماني، دراسة وترجمة وتعليق الدكتور/ حاتم عبد الرحمن الطحاوى، نش دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعيـة، القـاهرة، الطبعة الأولي ٢٠٠٢هـ.
بارتولد: فاسيلي فلاديمير
٤٥- تاريخ الترك فى آسيا الوسطي، نقله إلي العربية الدكتور/ أحمد السعيد سليمان، نشر مكتبة الأنجلـو المـصرية، القـاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
بروكلمان : كارل .
٤٦- الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، نقله من الألمانيـة إلـى العربية الدكتور / نبيه أمين فارس والأستاذ / منير البعلبكى، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م
دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها
بوزورث: كليفورد:
٤٧- الأسرات الحاكمة فى التاريخ، دراسـة فـى التـاريخ والأنساب نقله عن الانجليزية الأستاذ/ حـسين اللبـودي، نـشر مؤسسة الشراع العربي، الكويت، بالاشتراك مع مؤسـسة عـين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعيـة، القـاهرة، الطبعـة الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

توينبي : أرنولد

٤٨- تاريخ البشرية ، نقله إلى العربية الدكتور / نقولا زيادة نشر الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

ريمون : أندريه

٤٩- المدن العربية الكبرى في العصر العثماني : نقله عن الفرنسية إلى العربية الأستاذ /لطيف فرج ، نشر دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

شبولر : برتولد

٥٠- العالم الإسلامي في العصر المغولي ، نقله عن الألمانية إلى العربية الأستاذ / خالد أسعد عيسى ، وراجعه وقدم له الدكتور / سهيل زكار ، نشر وتوزيع دار حسّان للطباعة والنشر بدمشق الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

كوبريلي: محمد فؤاد

٥١- قيام الدولة العثمانية، نقله عن التركية الدكتور/ أحمد السعيد سليمان، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٣ها/ ١٩٩٣م.

كولز : بول (دكتور)

٥٢- العثمانيون في أوربا ، نقله من الإنجليزية إلى العربية الدكتور / عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، نشر الهيئة المصرية

العامة للكتاب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

بزوس: جون باتريك:

٥٣- القرون العثمانية وقيام وسقوط الامبراطورية التركية، نقله عن الإنجليزية الدكتورة/ ناهد إبراهيم دسوقي، نشر منشأة المعارف، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

لسترنج: كي

٥٤- بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية، الاستاذان بشير يوسف فرنسيس، نشر المطبعة العربية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

لينبول : استانلى

٥٥- سيرة القاهرة: نقله عن الانجليزية إلى العربية د/حسن إبراهيم حسن ود/على إبراهيم حسن والأستاذ إدوار حليم ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

٥٦- طبقات سلاطين الإسلام، نقله من الانجليزية إلى العربية الأستاذ /زيد فرحات ، نشر الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

مانتران : روبير وآخرون

٥٧- تاريخ الدولة العثمانية ، نقله عن الفرنسية إلى العربية الأستاذ بشير السباعى، نشر دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٣م

موير : وليم

٥٨- تاريخ دولة المماليك فى مصر نقله من الإنجليزية إلى العربية الأستاذان : محمود عابدين ، وسليم حسن ، نشر مطبعة دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .

ولبر : دونالد

٥٩- إيران ماضيها وحاضرها، نقله إلى العربية الدكتور/عبد النعيم محمد حسانين، نشر دار الرائد العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين .

٦٠- **مقال عن التيمار (الإقطاع) جـ١٠** ، طبع دار الشعب بالقاهرة (بدون تاريخ).

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الصفحة

